أما لهذا اللهو من آخر ...

بقلم
حضرة صاحب الفضيلة
الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

يا أشأم العصيان وأوخم عقباه إنه قاتل للأفراد والأمم على سواء

ولست أعنى بالعصيان كبوة الجواد وهو ماض إلى غايته راكضا لا يكسل ، عازما لا يهن ، مبصراً لا يعمى ، كلا فلكل سائر جاد عثرة أو عثرات لا تضيع مروءته ولا تسقط مكانته !!

وإنما أقصد بالعصيان امتراء الانحراف ، وإيلاف الشهوات وانفكاك العزيمة ، وموت القلب !

هذا اللون من الحياة الظالمة المظلمة هو الذى ينتهى بالحضارات إلى التفسخ وبالأفراد إلى البوار ، وبالبلاد وأهليها إلى متالف الغضب الإلهى

(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

وجماهير غفيرة من أهل أوربا وأمريكا يعيشون فى سكرة موصولة ، وإن كان لا ينتهى لهم كدح ، ويفتنون فى الملذات ، وإن كانوا كذلك يفتنون فى الكشوف العلمية والكونية ...

وعندما ألمح بشاشة الترف فى حياتهم أقول : استغلوا تفوقهم المادى والأدبى واغتصبوا خيرات العالم المتخلف ! فلما تراكمت النعم من فوقهم ومن تحت أرجلهم عاشوا على ذلك النحو ! ما تلبسه المرأة فى الصباح غير ما تلبسه فى الأصيل ، وللسهرة ثوب غير ثوب النهار وغناهم الفاحش من ثروات الضائعين يتيح لهم المزيد مما يشتهون

لكن عجبى لا ينقضى من الخاصة والدهماء فى البلاد المتخلفة ، ما حرصهم على تقليد أولئك الناس فى فنون اللذة التى يخترعونها ؟

لماذا تصر النساء على أن تكون ثيابهن فى هذا الفصل غيرها فى الفصل السابق من العام ، مع أنهن يعشن فى بلاد فقيرة إلى التقدم ، محتاجة إلى ما يعينها على الجد والانطلاق

إذا كان الاستعمار العالمي قد مكن الأمم الغالبة من التشبع والسرف فما معنى أن تتكالب الأمم المغصوبة المحروبة على استيراد تقاليد الفساد من هنا وهناك؟

إن للمعاصي وجهين دميمين : أحدهما قيمتها عند الله ، فإن الله يكره أن يجحد وينسى ، وأن يهيم عباده وراء زواتهم القريبة والبعيدة غير مؤدين له حقا ولا موفين له بعهده ، إن العقاب الذي ينتظرهم عدل ، ويومئذ يسمعون قول الحق «ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين »

أما الوجه الآخر فهو أثر هذا التحلل في المجتمعات البشرية ، إنه يستتبع كارثة قومية مدمرة ، ويكاد — في نظري — يمثل خيانة وطنية للأرض التي نعيش فوقها والجماهير التي تضطرب بينها . .

ومنذ أيام قرأت كتابا عن الجاسوسية ومغامراتها فشعرت بأن افتضاح الأسرار وانكشاف المخبوء إنما يعود إلى ميل بعض الناس إلى معاقرة الخمر ومعاشرة النساء .

إن السكر والزنا ليسا قذارات فردية فقط . بل وسائل طبيعة لقتل الأمم ، وتسليم مقدراتها لخصومها . .

ولو عقلت الأمم العربية كلها لاعتبرت الدعوة إلى اللهو — وأحوالها ما نعلم — جريمة خلقية وسياسية معا ولاعتبرت توهين الأيمان خيانة لله والناس ، وتخريبا للمستقبل والحاضر جميعا . .

إنه باسم الفن تثور في كياننا براكين مدمرة ، ومن عشرات السنين ونحن نرفع عقائرنا بالتحذير دون جدوى

وقد أثبت هذه الخاطرة لي من ربع قرن في كتابي « موكب الدعوة » أعود إلى ذكرها ، علم العرب والعجم والانس والجن أنه كان للمسلمين ملك طويل عريض في ديار الأندلس عمرت به حينا ، ثم حرمت منه وحرم منها ، وانطوت بطون التاريخ على ذكرياته الحلوة والمرة ! وقد يحدث أن ينبش المسلم الثري عن رفات هذا التاريخ المدفون ، فإذا هو يطالع من أبنائه ما يذكر بقول القائل :

أبك مثل النساء ملكا تولى

لم تحافظ عليه مثل الرجال

ولكن الأستاذ الأديب محمد اسعاف النشاشيبي — جزاه الله — لا يرى بعد أن

يطالع التاريخ الأندلسي البكاء مع النساء، بل يرى الرقص مع النساء ويقول: «الرقص شيء حسن لا يجادل في حسناته وفضائله مؤمن»

وطبيعي أنه يقصد بالإيمان شيئاً آخر غير الإيمان بالله ورسوله، أي غير الإيمان بالإسلام وفضائله وحسناته فلما أعوزته الشواهد على صدق رأيه ذهب إلى كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لينقل لنا صورة من صور الخلاعة والتهتك الذي جنح إليه بعض الأمراء والوزراء الأندلسيين في عصور انحطاطهم وتحللهم الذي لم يزل بهم حتى أحلهم دار الهوان، ذهب الأستاذ الأديب إلى كتاب «نفح الطيب» فأخرج منه القصة الآتية:

«كان المنصور بن أبي عامر «سلطان الاندلس» قد عزم في يوم على الانفراد، فأمر بإحضار من جرى رسمه من الادباء والندماء وأحضر الوزير «أحمد بن شهيد» في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شأنهم.

فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله، وطما الطرب، وسما بهم حتى هاج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس، فجعل يرقص وهو متوكيء عليه، ويرتجل، ويومىء إلى المنصور وقد غلبه السكر:

هاك شيخا قاده عذر لكا
قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا
فأتى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا
نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة
قام للسكر يناغي ملكا
أنا لو كنت كما تعرفني
قمت إجلالا على رأس لكا
قهقه الأبريق مني ضاحكا
ورأى رعشة رجل فبكى

ونحن نذكر القصة آسفين، ليرى القارىء في ثناياها أطراف مأساة كابية تصرخ بأسرار الانهيار الذي أصاب بناءنا وتفصح عن أسباب الهزيمة التي طوت عن هذه البقاع أعلامنا.

وقد كان المظنون بكل مؤرخ مسلم إذا عرض لهذه المخازي أن يشير بها شتى العبر وأن يجعل من توجيهها دروساً تنفع الأمة في حاضرها ومستقبلها

لا أن يذكرها على سبيل الاحتجاج لمحاسن الرقص وفضائله ، ثم يدعو الناس إلى الاقتداء الأثيم بملوك ذلك مسلكهم ، ووزراء هذا عملهم ، يعاقرون الخمر ! ويهيجون للرقص ، ولا يجوز أن يشيع المسلمون سيرتهم إلا بالأسى واللعن ...

ثم هم لم يكونوا — بعد — شيئا طائلا فى المحافظة على دينهم ، أو المحافظة على دنياهم ، حتى سئم المتنبى أبهتهم الكاذبة وألقابهم الفارغة ، وصد عن الذهاب إليهم قائلا أبياته المشهورة :

مما يزهدنى فى أرض أندلس
ألقاب معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

والعجب فى إمر كاتب مقال الرقص أن يذهب إلى كتب السيرة ليروى منها كيف أن الأحباش رقصوا فى المسجد كأن المساجد صالات تتلوى فيها البطون والظهور ، فيسوغ لنا أن نذكر ما حدث فيها بين يدى الرقص الأندلسى المخمور !! أو كأن الألفاظ وسيلة للتلبيس على العقول وتضليل الناس . عن الرقص الذى شهده الرسول والله لم يكن فى الحقيقة غير عرض عسكرى بريء .

ماذا على الناس لو أراحوا الدين من عنت الأهواء الجامحة ؟

فإذا أرادوا العصيان لم يلجأوا إليه بفتوى تشرعه .

ثم لنا أن نتساءل : هل الجو الذى يعيشه المسلمون الآن فى غيومه ورجومه يتحمل هذا اللغو من الكلام ؟

ألا فليطئن الكاتب الراقص ! فإن المسلمين الآن جميعا يرقصون ولكن كما يقول القائل

لا تحسبوا رقصى بينكم فرحا
فالطير يرقص مذبوحا من الألم

إننا نكتب هذه السطور . وآخر ما قرع آذاننا من فواجع مئات القتلى من المسلمين فى جزائر الفلبين ، اغتالهم الفاتحون من لصوص العقائد فذهبوا إلى الله ضحايا الظلم المنظم ، وضحايا ما أصاب المسلمين من خور فى القوة وتطلع إلى الشهوة .

محمد الغزالى

حقيقة وشريعة . .

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ
محمد الغزالى
مدير عام إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف

جلست يوما أختم الصلاة وأردد الألفاظ المأثورة ، متدبرا ما تدل عليه من تسبيح وتحميد وتكبير ، بيد أن الشيطان سرق فكرى دون أن أدرى فإذا أنا أسرح فى إحدى القضايا أستعرض أحداثها وأتتبع مراحلها وأتوجس من نتائجها !!

وغصت فى أعماق القضية العارضة حتى ارتطمت بقاعها ولسانى يحصى آخر الكلمات المأثورة التى تعقب الصلوات المكتوبة ، لتكون ذكرا بعد ذكر ، وتحية بعد تحية !!

وشعرت بتناقض بين حالى ومقالى ، وساءلنى ضميرى : أكنت حقا تذكر ربك ، وتسبحه وتحمده وتكبره ؟

ولم يكن للكذب مجال ، لقد كان فؤادى فى واد آخر ، وإن كان لسانى يردد ماتعوده من كلمات . .

لقد كنت حاضر كغائب ، أو غائبا كحاضر ، وما أستطيع الزعم بأنى فيما همهمت كنت من الذاكرين !!

إن البون بعيد جداً بين الكلمات التى ننطق بها ، وبين معناها للصاحب لها ، المخبوء تحت حروفها . .

لو كانت إدارة الألفاظ على الشفتين تثبت معانيها للفور كما تدير أزرار الكهرباء فتنطلق المسابيح للفور ، لكنا فى حال غير الحال ، ووضع غير الوضع ! ولكن المسافة شاسعة بين الكلمات ودلالتها اللاصقة .

وكم فينا من يغاوات تجرى على أفواههم كلمات جليلة ، فإذا ذهبت نلتمس حقائقها فى نفوس القائلين ، وجدت الفراغ أو وجدت النقيض .

والمؤسف أن أغلب معاملتنا لله يسيل من هذه العين الخئة !!

إن أسوأ ما يعترى الفرائض المكتوبة والعبادات الرتيبة أن يؤديها المكلفون وهم فى شبه غيبوبة ، لا تلاحق عقولهم معانيها ولا تحصل نفوسهم حكمتها . .

ويقول علماء النفس : إن درجات الحس تتفاوت عند مباشرة المرء لشتى الأعمال ، فقد يقع الإحساس فى بؤرة الشعور ، وذلك فى حالات الانتباه الكامل ، وقد يهبط الوعى إلى حاشية الشعور ، عند ملاحظة أمور مألوفة .

وهناك منطقة شبه الشعور التى تصحب القيام بأعمال معتاده ، وأظن بعض الدواب تشارك البشر فى هذه الحالة ، فهى إذا دربت على أشغال معينة أدتها بدقة ـ دون وعى طبعا ـ والتكاليف الدينية يوم تؤدى عن أنها عادت مجردة ، ليس معها الصحو العقلى المطلوب تصبح إلى الأدواء أقرب منها إلى الأدوية ..

بل إن الكفار الصاحين الأيقاظ إذا التقوا فى ميادين الحياة بعباد من هذا النوع المخدر الغافى سرعان ما يسبقونهم سبقا بعيدا ويغلبونهم غلبا أكيدا ..

إن الله شرع الدين موضوعا وشكلا ، معنى ولفظا ، يقظة نفسية وحركة بدنية ، فمن أخذ الظاهر من هذا كله وترك الباطن فهو يعبث بالدين ، ويتخذه لعبا ولهوا . . .

ويحسن أن نفرق هنا بين عدة أحوال ، فإن المؤمن الجاد الصادق عند ما يشرع فى نسك ، يقبل على الله معقود العزم حسن القصد ..

وربما اختلس الشيطان شيئا أو أشياء من عبادته ، فهو يحزن لذلك ويتعلم الحرص والحذر . ومراتب المؤمنين فى مدافعة هذه الغارات لاحصر لها ...

وخيرهم من تنجح مجاهداته فى صيانة عمله جوهرا ومظهرا ، وأعجزهم من استغفله الشيطان فشت لبه فى متاهات ليس لها آخر كلما تقرب إلى الله بعمل . .

ولا بد من استبعاد النيات الملتاثة فى هذا المجال ..

إننى أحيانا أسمع الأغنية الدينية تصف مناسك الحج أو تعرض حياة الرسول . فيمتلىء قلبى بالرقة والضراعة .. ثم أستحضر سيرة المغنى والملحن والعازفين فأحس فجوة رهيبة بين جلال ما يقال وفساد من يقول ..

إن الفرق الماهرة فى أداء هذه الألحان الدينية هى هى التى تستفز الشهوات الساكنة ، وتزين مزالق الشر لألوف من الخلق وتجدد نشاط الأشرار كيما يسترسلوا فى غوايتهم .

ولذلك عندما أسمع مناجاة الله على لسان مغن أو مغنية أسال النفس : أهذا ذكر لله حقا ، أم هى صنعة الكلام والتطريب وحسب ؟؟

ولم التمثيل بالغناء الدينى ؟

هل تتبعت مجالس القرآن التى تحف بنفر من القراء المشهورين ورأيت ما يسود هذه المجالس من صخب وخفة ؟

إن الصياح الطائش الذى يفتعله بعض السامعين يستخف للأسف هؤلاء القراء فتراهم ينسون الكتاب ، ومنزله ، وما ينبغى له من إجلال وتوقير ، ويحولون الآى إلى نغم معجب للجهال يزيدهم ولها على وله !!

ثم ينفض الحفل الماجن دون أن ينشرح بذكر الله صدر أو تدمع لخشيته عين ، أو تنعقد على طاعته إرادة ، ويثوب القارىء والسامعون إلى بيوتهم وهم يخوضون فى غضب الله خوضا !!

إن ما يطلب من الناس ليس شيئا صعب التصور أو عسر المنال ، مطلوب من الإنسان العاقل أن يعى ما يقول ، وأن يعنيه ، وأن يفقه ما يسمع ويستوعبه ، فهل هذا تكليف بما يبهظ الهمم ؟

مطلوب من المصلى إذا وقف بين يدى الله أن يعرف من يناجى ، فإذا قال : الله أكبر ، كان شعوره أنه فى حضرة الكبير المتعال عاصما له من الالتفات إلى غيره ، ومحرما عليه الاشتغال بأمر دونه ، وهذا سر تسمية افتتاح الصلاة بتكبيرة الإحرام .

مطلوب من التالى للوحى أن يفك إغلاق قلبه فإذا نودى سمع ، وإذ بصر رأى ، وإذا استثير نشط ، وقد جاء فى وصف عباد الرحمن « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

العلاقة بالله ـ على الحقيقة لا على التجوز ـ تطلب البعد عن آفتين : التوهم أو الخيال ، والتمثيل أو التصنع ..

الآفة الأولى تجعل المرء يرسل القول على عواهنه ، وقد تخدعه نفسه فيخال الأمنية البعيدة حقيقة ماثلة ، أو يخال الأمل السامى غاية سهلة .

وقوانين الإيمان لاتدع المؤمنين طويلا بإزاء هذه الأوهام ، بل تربيهم بالأحداث تلو الأحداث حتى ينكشف معدن النفس ، فإما ثبت الإنسان عند ما يقول وتحمل تبعاته كاملة ، وإما انهزم وبدا عوراه ، وفى ذلك يقول جل شأنه « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ، ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

والأمل فى الاستشهاد قبل مواجهة العدو شىء عظيم ، وأعظم منه وأدل على صدقه ألا يتبخر الحماس عند اللقاء ، ويتغلب حب الحياة وإيثار السلامة . .

إن الله تبارك اسمه يبغض أصحاب الزعم العريضة ، فإذا دقت ساعة الجد وجدت الثرثارين خرساً « لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

أما الآفة الأخرى التى تبعد ذويها عن جوهر الدين فهى أخذ العبادات من مراسمها البادية ، وبذل الجهد فى إتقان الظاهر وحده .

ولو عقلنا لأدركنا أن القليل مع صحو الضمائر أفضل من كثير لا روح فيه ، تأمل فى حديث إبراهيم الخليل عن ربه ، إنه حديث ليس فيه كشف لمجهول ، ولا تصوير لمعنى مبتدع ، إنه يتناول أقرب المحسوسات إلينا « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين » .

إن الرجل العامى يجد هذا الكلام قريباً من حسه ، ولكن حقائق هذا الكلام هى التى فاتت العباقرة فزاغوا .

ليس الأمر تزويق عبارات بليغة ، ولا شرح فلسفات عويصة ، الأمر لا يتطلب أكثر من أن يقرأ المسلم فاتحة الكتاب ، فيعى كل كلمة ينطق بها ، ويكون قلبه مرآة نقية لما احتوت من حمد لله ، وثناء عليه ، وتعاهد معه ، وتطلع إلى هداه ونعمته .

هذه هى الحقيقة التى تحدث عنها علماء التصوف ورجال التربية .

لادلالة لهذه الكلمة غير ماقلنا ، أن يلتزم المسلم بشريعته مبنى ومعنى ، أن ينفعل بتعاليمها لياً وقلباً وجسداً ، أن يرقى إلى مستواها فكراً وعاطفة وسلوكا . . .

لا تعريف للحقيقة غير ما أوضحنا فى الكلمات الآنفة . أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله ، وأن تتعانق الروح والجسد عند الانقياد لأمره .

ولبعض الصوفية كلام متهافت يوهم أن الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر . . . ! يقول ابن عجيبة فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى : « الأعمال عند أهل الفن — يعنى فن التصوف — على ثلاثة أقسام عمل الشريعة ، وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان أو تقول عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية ، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول

الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر . . الخ » وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم فإن الشريعة إصلاح الظاهر والباطن معاً ، وهي عبادة ونية وإحسان ، لا ينفك أحد هذه العناصر عن الآخر . .

ويوغل ابن عجيبة — غفر الله له — في خطئه ، فيصور لقرائه أن الكتاب والسنة أقسام ، بعضها يشير إلى الشريعة ، والآخر يشير إلى الحقيقة فيقول : « أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » مع قوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحدكم الجنة بما عمله » والجواب — كما يزعم ابن عجيبة — أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة ، أو بين تشريع وتحقيق ، فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر ، وقد يشرع القرآن في موضع ويحقق السنة هذا الأمر في موضع آخر . فقوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله تشريع لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة . . . الخ » .

وهذا كلام باطل ، لا ينطوي إلا على الفراغ والدعوى . . وليس في دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة . ولا انقسم الوحي الإلهي إلى فريق لهؤلاء ، وفريق لأولئك .

أما الإشكال الذي أوردته فإليك تفسيره . . . .

اتفق أئمة المسلمين على أن العمل لابد منه لدخول الجنة ، وأنه سبب شرعي مطلوب لا يستثنى منه بشر ، ولا يدخل بدونه أحد . وقد تظاهرت الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة جميعاً . . قال تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » وقال « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقال « وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة . . . » وقال في المستقيمين « أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » الخ .

ولكن المطلوب من العابدين لله أن يتواضعوا له وأن يكبروا حقه وأن يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات قال تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات) .

ويؤتون ما آتوا ، ليس معناها فعل المعاصي والحذر من عقباها بل معناها فعل

الطاعات والحذر من عدم قبولها ، لأنها دون مايجب لله أو دون مايحسن المرء .

وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف فهو نهى عن الاغترار بالعمل وليس نفياً لقيمة العمل ، إنه نهى عن الاطمئنان إلى العمل والاستكبار به والجراءة على الله بعد إتمامه .

وليس نهياً عن التزود بالصالحات والاستكثار منها .

وغريب أن يفهم عوام المسلمين من الحديث الشريف أن العمل لا لزوم له . ففيم إذن نزل القرآن ؟ ولماذا جاهد نبيه ربع قرن لإبلاغه وإقامة الأمة عليه .

الحديث نفى لأن يكون العمل ثمناً حقيقياً للجنة . وليس نفياً لأن يكون سبباً حقيقياً لدخولها . نعم . فإن الخلود الدائم فى نعيم مقيم ليس الثمن المكافىء لعبادة الله سنين عدداً ذاك لو خلت العبادة من شوائب الرفض . فكيف وأكثرنا لو فحص عمله رد فى وجهه ثم كيف لو حوسب الانسان على النعم المغدقة عليه فى الدنيا . وقيل له : عملك نظير بعض هذه النعم .

الحديث ليس مناقضاً للآيات . ولا للأحاديث الأخرى . وإنما هو كما قلنا كسر للغرور البشرى وتذكير برحمة الله وتجاوزه وصفحه .

وعلى ضوء هذا التفسير تعرف أن ما ذكره ابن عجيبة وغيره عما يسمى حقيقة وشريعة لا أصل له فى الاسلام . فدين الله واحد لجميع خلقه ؟

الدين . . .

« الدين » الخضوع والطاعة للديان القاهر ، الحكم الذى يفصل بين الخصوم بعلمه وعدله وحكمته ، ودنت له : أى أطعته ونفذت أمره ، وهذا الأمر دينى : أى هو دأبى وشانى فى كل أمري ، والذى ألتزمه وأتحراه .

ودان نفسه : أى أذلها واستعبدها لمن دان له . ودان القوم : استعبدهم وأنفذ حكمه فيهم ، فدانوهم له ، اى وخضعوا واستسلموا وانقادوا لحكمه .

حول الجزاء الأخروى

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

ألقى أحد المتحدثين عن الإسلام كلمة بالتليفزيون العربى تعرض فيها للثواب والعقاب الأخرويين ، وكاد يقول إنهما روحانيان ، وأخذ يلوى الآيات عن وجهتها ويتصرف فى تأويلها بما لا يعرفه فقيه مسلم ، بل إنه أرسل نكتة عن الفهم المعروف للنعيم فى دار الخلد فقال : إن الجنة ليست سوق خضار .

ونحن مضطرون لإيضاح الأمر كله بما يتفق ومعالم الدين حتى تقر الحق فى نصابه ، وتدفع الشبهات التى تتشبث بعقول بعض الناس .

هل خلق الإنسان من روح وجسد شىء يعاب ؟ كذلك يرى بعض الناس . . . بل كذلك قال أعداء الأنبياء لهم وهم يرفضون رسالاتهم ، وينكرون حديثهم عن الله ، مفترضين أن يكون الرسول ملكا « وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً » .

وكما استنكروا أن يكون المرسلون بشراً يأكلون ، إستنكروا عليهم الزواج ، والنسل ظانين أن الرغبة الجنسية تشين الإنسان الكبير وعليه إذا أراد التكمل أن يكبتها .

وقد رد القرآن الكريم هذه المزاعم وبين جل شأنه أن المصطفين الأخيار من عباده كانوا رجالا ناضجى الغرائز « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية . . »

ومع ذلك فإن بقايا من منطق الجاهلية القديمة لا تزال عالقة بأذهان الكثيرين ممن يحسبون السمو البشرى لا يتم إلا بإعلان حرب مجنونة على البدن توهى قواه وتدوس رغائبه .

بل سرى ذلك الفكر إلى بعض المذاهب الدينية ، وانبنى عليه أن التقوى فى هذه الحياة تعنى الرهبانية ، وأن السمو فى الحياة الآخرة لا يتصور مع وجود هذا الجسد اللعين ، وعليه بعد ذلك فلابد أن يكون النعيم الموعود روحانياً محضاً وكذلك العذاب المرصد للأشقياء .

ولما كان الإسلام دين الفطرة السليمة ، ولما كان لبابه احترام الحقيقة المجردة ، فإنه رفض كل عاتيك للمقدمات والنتائج ، وأسس تكاليفه وأجزيته الدينية والأخروية على اعتبار

الإنسان كائن متميز يجمع بين جملة من المواهب والخصال للتلاقية فى شخصيته ، بها جميعا يسمو أو يهبط وبها جميعا يثاب أو يعاقب .

أو كما يقول الأستاذ العقاد : ليس ما يدين به المسلم أن يرتد النوع الإنسانى إلى مادون طبيعته ، ولكن مما يؤمن به أن ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعة ، فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين ، وهذه الأمانة هى التى رفعته مقاما فوق الملائكة ، أو هبطت به إلى زمرة الشياطين » .

ليس الهبوط أن يشتهى الإنسان طعاما أو امرأة . إنما الهبوط أن يأكل المرء من سحت أو يتصل بمن لا تحل له . .

فإذا طعم من حلال أو اتصل بأنثى لتكون زوجة يسكن إليها ويتم بها ويعتد وجوده معها فلا شىء فى ذلك أبدا .

لقد أخطأ كثير من المنتسبين إلى الدين فى احتقارهم للبدن ، وفهمهم أن السامى لا يحصل إلا بسحقه ، وفهمهم بعد ذلك أن الحياة الأخروية لا وجود للبدن فيها ، وأن النعيم او الجحيم معنويان وحسب !

وقد سرى هذا الخطأ ـ كلا أو جزءا ـ إلى متصوفة المسلمين فاعتنقوه ، وحسبوه دلالة إرتقاء وتجرد ، فظلموا بهذا المسلك دينهم وأوقعوا خللا سيئا فى موازين الجزاء كما أقامها الكتاب العزيز . . وقلدوا أتباع الديانات المنحرفة فى الجور على الطبيعة البشرية وبذلك فسحوا للمذاهب المادية طريق التقدم والسيادة .

بل بلغت المجازفة بهم أن حقروا عبادة الرغبة والرهبة ، وأشاعوا أن من الهبوط أن تطيع الله طلبا لجنته ، أو تدع عصيانه خوفا من ناره حتى توهم الناس أن الأمل فى الجنة والخوف من النار ليس شأن العباد الصالحين .

وهذا الضرب من التفكير لا يمكن وصفه بأنه تفكير إسلامى ، إنه ضرب من الشرود والغرور تبدو تفاهته عندما يحاكم إلى العقل والنقل على سواء .

ولنبدأ بالنقل . . . يصف لنا القرآن الكريم مشاهد الجزاء فيذكر لنا أن رجلا مؤمنا يبحث عن صاحب له كان ظاهر الإلحاد والفسوق ، فوجده قد استقر فى سواء الجحيم

فحمد الله إن لم يتأثر به وقال : (تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ، إنما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون . .)

النجاة من النار أمل ضخم لمثله يعمل العاملون ، فكيف يجيء أحد من الناس، رجلا أو امرأة ليقول : بل هو أمل تافه ؟ ويقول الله جل جلاله (إن كتاب الأبرار لفى عليين، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون . إن الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

..فى الرحيق المختوم يسقاه قوم تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، فى هذا الجزاء الجزيل ينبغى أن يتنافس المتنافسون .

فكيف يجيء إنسان رجلا كان أو امرأة ليقول : لا أعبد طلبا لشيء من ذلك ؟

إن هؤلاء الناس يكذبون على طبائعهم الإنسانية كما يكذبون على دين الله ، ثم هم يسيئون تصور النعيم الأعلى أو العقاب السرمدى .

إن الجنة دار لنوعين من المتع أحدهما مادى والآخر معنوى ، فالمادى تكريم للانسان يفيض من التجلى الإلهى يشعره بالرضوان ويرفعه بالرؤية .

وبديهى أن المتاع الثانى أكبر من الأول ، كما قال جل شأنه « . . . ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » .

ولكن هل هناك فواصل — فى هذا الكيان البشرى — بين الإحساسين أم أن الإنسان بأجهزته المادية والمعنوية يذوق الخير والشر جميعا ؟

إن اللذة والألم قوانين إنسانية صارمة فلم الطعن فيها ؟ ولو فرضنا أن الجنة محل الكرامة الإلهية لكفاها ذلك ، ولاحترمناها من أجل هذه النسبة ، ولا يأبى الكرامة إلا لئيم . فكيف — وهى إلى جانب ما وصفنا — تلبية لحاجة طبيعية يحسها كل إنسان، حاجة ذلك البدن الذى يضيره الحرمان ويضنيه القل (1) والذل ، حاجة ذلك البدن الذى يكره الجوع والعطش والعرى والهوان ..

---

(1) القل : الفقر ، وهو ضد الكثر

من أجل فكرة خيالية نجيء إلى مئات الآيات الصريحة الواضحة فنحاول صرفها عن ظاهرها والتمحل فى تأويلها وإفساد الآثار التربوية المقترنة بها . « قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » .

ماذا يبقى من آيات القرآن بنجاة من التأويل والإبطال إذا تمت هذه المحاولة المنكرة؟ إن الله وجه إلى نبيه هذا الأمر ووصف أنبياءه الكرام بأنهم « كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » . ووضع أمام أبصار البشر كلهم هذا الترهيب « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » . فهل بعد ذلك نسمع لقول امرىء يزرى بعبادة الرغبة والرهبة ، ويزعم أنه لا يخاف النار ولا يحب الجنة وأنه ـ إن عبد ـ فإنما يعبد ابتغاء وجه الله .

ما هذا اللغو ؟ وهل الوجوه الناضرة بنظرها إلى الله تظفر بذلك فى قصر جهم ، أم تظفر بذلك فى حدائق الجنة ؟

قال لى أحد المتصوفين : إن من الخساسة أن تعبد الله منتظراً أجراً .

فقلت : من العبودية أن تستبشر بفضل الله وأن توجل من عقوبته ، وأن تعرف قدرك وتلزم حدك أين تريد أن تضع نفسك ؟ إن الله قال عن نبيه « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين » .

فهل أنت فوق الأنبياء استغناء عن الأجر الإلهى ؟ .

وقال عن عبادة المؤمنين الموقنين « تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وأعد لهم أجراً كريما » .

ووصف عاقبة الصادقين المضحين بأنفسهم فى سبيل ربهم فقال : « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » فهل أنت فى مكانة أخرى غير ما أعد الله للشهداء والصالحين ، مكانة الزاهد فى أجر الله أو الرافض له ؟

ما هذا الغرور ؟

لقد وصف الله أولى الألباب بأنهم « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار » . فهل يرفض أن يكون من أولى الألباب إلا البله ؟

ولقد أهاب الله بخلقه أن يسارعوا إلى جنة «عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» فهل يكره أن ينتظم فى عداد المتقين إلا الحمقى ؟

إنى أطلب من إخواننا الذين يكتبون فى التصوف أن يدمنوا النظر فى كتاب الله ، وأن يستوحوه ما يستجيدون من معان وغايات ، وبذلك وحده ينصفون أنفسهم وطريقهم . أما ترويج فكرة لرجل أو إمرأة تبتعد عن هذا الضوء الكريم فامر يستساغ ، ومن حقنا ان نرفضه .

لقد سمعت أشعار تنسب إلى رابعة العدوية ، بل حكى الرواة عنها — والعهدة عليهم — إنها لما سمعت التذكير بفواكه الجنة وخيراتها قالت : لسنا أطفالا فنغرى بهذه الأشياء . وسواء صح ما نسب إلى هذه السيدة أو بطل ، فنحن كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى فاطمة بنت قيس — وهى صحابية أفضل من رابعة — « لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول إمرأة لا ندرى أحفظت أم نسيت »

إن الجنة وعد الله لعباده فنعما هى ، وشكراً لمن أعدها للمتقين ، وهنيئاً لمن يصير إليها ، يمرح فى بحبوحتها ويسعد بربه الذى طالما صلى وصام وتصدق من أجله .

إنه فى هذه الجنة يشهد من كان يعبده بالغيب ، ويتلقى فضله فى قلبه وعلى بدنه لذات مادية ومعنوية متشابكة لا انفصام بينها ، « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً . . . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » .

ونحن نلفت أنظار المفسرين ألا ينخدعوا بما شاع فى الديانات الأولى من أوهام أو بما نسب إليها من أفهام فإننا ورثنا الكتاب الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . »

---

٥٠٠ جنيه لمسجد التوحيد فى بلبيس

قرر مجلس إدارة المركز العام منح فرع بلبيس مبلغ ٥٠٠ جنيه خمسمائة جنيها مساهمة منه فى إنشاء مسجد التوحيد ببلدة بلبيس .

الإسلام شرف فى الوسيلة والهدف !!

لحضرة صاحب الفضيلة
الشيخ محمد الغزالى
المستشار بوزارة الأوقاف

يروى المؤرخون أن عبدالله بن أبى السرح ارتد بعد إيمان، والتحق بمشركى مكة يزعم لهم أنه كان يفتعل الوحى مع محمد ، وأن القرآن كتاب من عند الناس لا من عند الله !!

وظاهر أن الرجل بهذه الفرية المهينة يسىء إلى الإسلام وأهله، ويشن على الله ورسوله حرباً آثمة ، فلا جرم أن يحكم النبى عليه بالموت ، وأن يهدر دمه عام الفتح مع أمثاله من المجرمين الذين لا يستحقون شرف الحياة فى مجتمع نقى، وشاع نبأ هذا الحكم الواجب النفاذ، والذى لا يجوز أن يتراجع أمامه أحد .

إلا أن عثمان بن عفان - وكان أخاً لعبد الله من الرضاع - طمع فى استصدار عفو من رسول الله عن قريبه المخطىء ، فاقتاده إلى مجلس النبى يعتذر ويستأمن .

وسكت الرسول وهو يتذكر عظم ما اقترف هذا الكذوب فى جنب الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » ؟ ولم يجب عثمان إلى ماطلب من عفو عنه .

بيد أن عثمان عاود الرجاء حتى استحيا الرسول من رده خائباً فعفا عن عبدالله وآمنه !!

وبدا من حاله ومقاله - صلى الله عليه وسلم - أن الرجل كان أهلا للعقوبة جديراً بالقتل فقال له بعض أصحابه : هلا أومأت إلينا بعينك فعاجلناه بالقصاص ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة النبيلة : « ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين » !

إن أصحاب النفوس الشريفة لا يحسنون أعمال الظلام ولا تتفاوت مسالكهم الخفية والجلية ، ولا يلجأون إلى الغمز بالعين تستر أعلى نية يخشون انكشافها، أو يؤثرون كتمانها.

والدعاة إلى الله ليس أمامهم إلا نهج واحد : المصارحة بالحق ، والمسالمة فيه ، أو المخاصمة عليه .

وهم فى هذا المنهج علماء يدرسون الحقائق الدينية والاجتماعية ، أو السماوية والأرضية ،

فلا يقصرون فى بيانها ، ولا يجاملون فى تقريرها ، ولا يخفون بعضاً ويظهرون بعضاً آخر . كلا إنهم يكشفون كل مالديهم دون مواربة أو محاذرة ، وفى هذا يقول الله جل شأنه « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

والمداهنة التى يودها المشركون لون من الهدنة على حساب المبادئ المقررة ، والمثل المنشودة ، وهى هدنة تقوم على تملق المجتمع ، أو الحرص على المنافع الخاصة ، أو النكوص عن التضحيات اللازمة .

والأنبياء ومن على قدمهم من الدعاة يرفضون رفضاً حاسماً هذا المسلك القريب من النفاق والأثرة . إنهم صور حية لرسالاتهم ، وحراس منتصبون للدفاع عنها والحياة بها أو الموت دونها ، لا يميلون عنها يمنة أو يسرة قيد أنملة .

وتأمل توجيهات القرآن الكريم لسيد الدعاة « ادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم ، وإن جادلوك فقل : الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » .

وقوله جل شأنه « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم »

وقوله « إن ربى على صراط مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم »

إن للطبائع الملتوية أسلوباً قد تنجح به فى ميادين شتى ، فإذا تعلق الأمر بالعقائد والفضائل والمبادئ لم تصب من النجاح سهما ، ذلك أن طريق أصحاب المثل غير طريق أصحاب المصالح ، وسياسة الدعوات القائمة على الشرف والمرتبطة بالسماء غير سياسة التطلع والصد .

ويجب أن نوقن بأن أهل الإيمان يرفضون السير بعيداً عن منطق الأمر والنهى والحلال والحرام ، ومايجوز ومالا يجوز أما الزعم بأن الغاية تبرر الوسيلة فهذا مالا يقبلون .

عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبيلة بنى عامر بن صعصعة وعرض عليهم نفسه - وذلك بعد ما كذبه قومه وتجهمت الأرض له ، فقال رجل منهم : والله لو أخذنا هذا الفتى من قريش لأكلتنا العرب ! ثم جاء النبى فقال له : أرأيت إن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال ﷺ : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ! قال : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ! لاحاجة لنا بدينك ! ؟

إن هؤلاء قوم ينشدون الرياسة من وراء الإيمان الذى يساومون عليه ، فهم لايطلبون وجه الله ولا يفكرون فى ثواب الآخرة ! والذين يصلون لغرض ويصومون لغرض ليسوا أصحاب صلاة ولا صيام ! والذين يشترطون على الله لكى يؤمنوا به أن يأخذوا كذا وكذا ليسوا أهل إيمان .

ومن هنا انصرف نبى الله عنهم لأنه لايعرف سياسة خذوهات ولا يقود البشر عن طريق شهواتهم القريبة أو البعيدة ، إنما يقودهم عن طريق اليقين المحض والإخلاص المبرأ والعمل الصالح المبرور ، والمسلم امرؤ يحيا وفق تعاليم دين ، وهو ينتصر لدينه بالطرق التى يقرها وحدها ، وينأى عما عداها .

إن طبيعة الطير أن تسبح فى الجو وأن تطوى المسافات صافة أجنحتها وطبيعة الثعبان أن يزحف على الثرى وتتدافع أجزاؤه فوق التراب كى ينتقل من مكان إلى مكان .

والإيمان نقلة هائلة من طبع لطبع ، ومن سلوك لسلوك ، وهو يكلف صاحبه أن يترفع لا أن يسف ، وأن يشق طريقه محلقاً فى الجو لاخلداً إلى الأرض .

والمشكلة أن بعض الناس يتصور أنه باسم الإيمان يستطيع أن يتحرك بخطى الثعبان ، وهيهات .

تأملت كيف وصف القرآن لأولى الألباب فوجدتنى أمام مجموعتين من الخلال الزكية تكمل إحداها الأخرى :

المجموعة الأولى فى سورة آل عمران ، والثانية فى سورة الرعد .

فأما التى فى سورة الرعد فقد أحصت الآثار العملية فى الأخلاق والسير وعدتها

الامتداد الطبيعى للعقل المؤمن « إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » .

وأما التى فى سورة آل عمران فقد تعرضت لمنابع الإيمان من ذكر وفكر ودعاء ولضوابطه من جهاد وهجرة وتضحية « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض .. » إلى أن قال « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم »

والآيات الكريمة فى كلتا السورتين تصف ناساً معينين ، وإنما تختلف الأوصاف باختلاف المواقف والمناسبات ، ومايستغنى مؤمن فى حياته الخاصة والعامة عن كل ما ذكر الله جل شأنه هنا وهناك .

قد تقول : لكن هذا الالتزام الدقيق سيجعل أصحابه غرباء مستوحشين بل قد يجعلهم ضعفاء مغلوبين! فإن القافلة البشرية تسير تحت رايات وشارات غير ماتقرر هنا ، وإذا لم يتهاون أهل الإيمان فى بعض مواريثهم هانوا وتنكرت لهم الدنيا . !

وأقول : هذا هو الهراء الذى لايشعر إلاخزى الحياتين والذى أنطق المفرط القديم بهذا البيت النادم :

بعت دينى لهم بدنياى حتى سلبونى دنياى من بعد دينى !

وإنى أحذر العرب والمسلمين فى كل قطر من مثل هذا المنطق الكفور الضعيف ، إنهم يجب أن يتشبثوا بأرضهم شبراً شبراً ، وبدينهم حكما حكما ، وليعلموا أن نية التفريط أول بوادر الهزيمة ، وأن النزول عن جزء من الحق إيذان بضياع الحق كله .

لقد بدأ الإسلام غريباً مستضعفاً ،فلما ثبت عليه أهله أصبح قطب الوجود ، ومنارة الدهور ، وما كلفهم ذلك إلا شيئاً واحداً هوصدق الإيمان وإن خفق القلب واضطرب القدم وقل النصر وفجر الباغى وعمت الأفق الغيوم .

يقول سبحانه: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً».

والشرط الفذ الذى نوه به القرآن ليتحقق هذا الرجاء هو قوله سبحانه «يعبدوننى لايشركون بى شيئاً» وبعد أن ألمع إلى أركان هذه العبادة المفروضة أومأ إلى قوى المبطلين بازدراء، وبين أنها ستذوب فى حرارة الإيمان المنتصر آخر الأمر «لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير» إن النصر حليف دائم للإيمان الحق لايمكن أن يتخلف عنه أبداً، ولقد ذاق المسلمون فى تاريخهم المديد حلاوة النصر وآلام الهزيمة فهل كانت انكساراتهم لتخلف فى مواعيد الله؟

كلا إنهم هم الذين أوهنوا علاقتهم بالله، فلما ارتابت قلوبهم وضعف إيمانهم تخلت عنهم العناية العليا. قرأت هذا التعليق على جهاد نور الدين زنكى ضد الصليبيين القدامى أنقله بحروفه لعل فيه عبرة: «كان الإفرنج قد ملكوا أكثر البلاد منذ خمسين سنة، وكانوا أعداد الرمال تمدهم أوربا كلها بما يشد أزرهم ويضمن غلبهم، وحسب الناس أن هذه الغمة لن تزول، فما هى إلا أن ظهر الرجل الذى نشر راية القرآن، وضرب بسيف محمد، حتى عاد النصر يمشى فى ركاب المسلمين، وعاد أمرهم إلى الزيادة، وأمر الصليبيين إلى النقص، وبذلك يكون لنا كلما شئنا النصر!

إن راية القرآن لم تهزم قط، ومن هزم من أمراء المسلمين فى هـذا التاريخ الطويل إنما هزموا لأنهم كانوا يستظلون برايات المطامع والأهواء والعصيان والأحقاد ما استظلوا براية محمد.

وكانوا يضربون بسيف البغى والإثم والعدوان ماضربوا بسيف محمد. إنه ماضرب أحد بسيف محمد ونبا فى يده سيف محمد!»

وهذا حق سجلته القرون وشهدت به الأرض والسماء، وعندما ينتضى العرب هذا السيف فستكون من ورائه قوة الله التى تدك العدوان وتؤدب المجرمين. المهم أن نوفى لله فيوفى الله لنا وأن نذكره فيذكرنا وأن نلوذ به فيكمل جهدنا ويسدد خطونا.

هذا هو الطريق

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي

الفقر الحقيقي في الأمة الإسلامية الكبيرة يرجع إلى هذا الشلل الغريب في المهم المواهب وهذا التخلف السحيق في مجال الإنتاج والإجادة.

ثم إلى ذلكم العبث بمعنى الإيمان، والنكوص عن منطقه.. إلى جانب تملق وضيع الشهوات ونهمه باديه إلى الدنيا!..

وما نصف خصومنا بأنهم يكرهون الحياة وملذاتها، بيد أن الأمم القوية تبلغ ما تهوى بوسائلها الخاصة، أما الأمم الضعيفة فهي تلهث وراء غيرها، أو تتعلق بركابهم تعلق المتسللين بمركبات النقل، أو تعلق المتسولين بأذيال السادة..

والنهوض الحقيقي هو زوال هذه العلل، وفناء جراثيمها، وقدرة الأمة على الاستقلال بعملها وإنتاجها والاستمداد بإيمانها وفضائلها، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر، وتنصرف عنه متى تشاء!.

ويؤسفني التصريح بأن الشعوب الإسلامية، حتى يومنا هذا، لم تبدأ نهضة صحيحة، وأن مظاهر التقدم التي تراها أو نسمع عنها هي امتداد لنشاط القوى الكبرى في العالم أكثر مما هي تطلع المتأخرين للتقدم..!

فالغرب الصليبي يصطنع شعوباً شتى لخدمة مآربه ويمدها بكثير من عونه المادي وقليل من تقدمه الحضاري، والشرق الشيوعي ينافسه في ذلك الميدان، ويحاول الاستفادة من أخطائه، أو يحاول ميراثه إذا انتهى من مكان ما.

وجمهرة المسلمين أوزاع، بعضهم يؤثر النمط الغربي في الفكر والسلوك، وآخرون قد أعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهراً وباطناً بنزعتها..

أما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الإسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوحي المحمدي فقلة غامضة من الناس، ولا أقول منكورة الوجه منكودة الحظ..

هب أن ثورة قامت في جنوب اليمن تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الأعلى، أتكون هذه الثورة نهضة إسلامية؟ أم تكون نجاحاً للفكر الشيوعي العالمي؟!؟.

من أجل ذلك قلت: إن الشعوب الإسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة، تكون امتداداً تاريخياً لها، وإبرازاً لشخصيتها أو بناء لأصلها وتثبيتاً لملامحها..

ومن الغلط تصور أني أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم !! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا إلا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعي وتجربة ؟؟.

إن دولة الخلافة الراشدة اقتبست في بناء النظام الإسلامي من مواريث الروم والفرس دون غضاضة.

وعندما آكل أطعمة أجنبية أنا بحاجة إليها فالجسم الذي نما هو جسمي، والقوى التي انسابت فيه هي قواي !! المهم عندي أن أبقى أنا بشخصيتي ومقوماتي!

والمهم أن أبقى وتبقى في كياني جميع المبادىء التي أمثلها والتي ترتبط بي وارتبط بها، لأنها رسالتي في الحياة ووظيفتي في الأرض.

هذا هو مقياس النهضة، وآية صدقها أو زيفها، فهل في العالم الإسلامي نهضات جادة تجعل الإسلام الحنيف وجهتها والرسول الكريم أسوتها؟؟

إننا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم.

وإذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعي، وننتفع من خبرات غيرنا من آفاق الحياة العامة، فليكن ذلك في إطار صلب من شرائعنا وشعائرنا.

فإنه لا قيمة لأحدث آلات التقدم إذا تولى إدارتها قلب خرب، ولا قيمة لأفتك الأسلحة إذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عن الله مولع بالشهوات..

إن بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش. وهذا البناء لا يتم إلا وفق تعاليم الإسلام.

تنشئة تصوغ الأجيال الجديدة، وتقاليد تحكم العلاقات السائدة، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة، ومعاملة جازمة بما في الدين من أهداف ومقاطعة حاسمة لما يعترضه من مسالك..

وكل بناء متنوع تلائمه يتنكر للإسلام أو يخاف بذكره أو يغض من شأنه فهو مرفوض جملة وتفصيلا.!

ولقد جربنا جعل مظاهر المدينة فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا؟

صنعنا ناساً ، إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم » .

وهذا اللون من الناس فاشل فى سلمه ، مخذول فى حربه ما تساندة إلى غاية أرض ولا سماء . .

البناء الحقيقى للنفوس يستهدف أمرين جليلين :

أولهما : إسلامي بحت يحرك المسلم من يقظة الفجر إلى هداة الليل بحماس العقيدة ، وطهر الصلاة وشرف الإخلاص ، وحب الله ورسوله .

وكلتا الجبهتين الشرقية والغربية تكره ذلك الأمر وتأبى أن يأخذ الإسلام طريقه فى الحياة بهذا الوضوح .

والأمر الآخر حيوى بحت ، أساسه العلمى والعملى فى كل أفق امتدت إليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة إلى غزو الفضاء !

ولنكن صرحاء ! إن هذا التفوق لايولد من تلقاء نفسه ، إن التبريز فى هذه المجالات يتطلب رغبة فى المعرفة ، وشوقاً إلى المجهول أو عزماً على اقتحام كل عقبة ، وهذه المشاعر لاتمدها إلا عقيدة مكينة !

وإذا كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون ، فإن العقيدة المسيطرة أقوى من الحاجة فى الاندفاع والتحمل واستشفاف الغيوب !

إن الجندى المؤمن يرمق الظلام فى جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله ، ويبحث عن ألف حيلة لمقاومة العدو ودحره . .

والعامل المؤمن يجفف العرق ، وينفى عن نفسه التعب ، لأنه بيواعث الحب والنصر يريد خدمة أمته وإعلاء رسالته . .

والمحزن فى شئون المسلمين أنهم من عشرات السنين لايتحركون من الحياة وفق إيمانهم الأثير وأنهم — أيضاً — ينتظرون كل مايعرض عليهم من إيمان بديل . !

ونتج عن ذلك أن أعمالهم الخاصة ونهضاتهم العامة تولد ميتة ، وأنهم إن تحركوا ففى مكانهم !! وقد تحركت اليابان منذ قرن فى موكب نهضة صناعية خارقة ، ونجحت حركتها من هذا التنافع العين بين مايفرض على الشعب من خارج ، ومايهفو إليه من داخل فماذا كانت النتيجة ؟

أضحت أمة من أنجح أمم الدنيا ، ولا تزال برغم هزيمتها فى الحرب الأخيرة أمة مرهوبة العزم إن لم يكن فى صناعات الحرب ففى صناعات السلام .

أما العالم الإسلامى خلال هذا القرن فقد رزق بحكام يريدون محو دينه أو تشويه حياته بهذا الدين ، فكانوا شؤماً على يومه وغده .

إن النهضة الحقيقية هى التى تفلح فى استثارة قوى النفس وفى جعل الأمة على اختلاف طوائفها كخلية النحل نشاطاً ونظاماً .

ولنزد الموضوع جلاء . .

لقد نشأ عن الانفكاك بين العقيدة والعمل عجز رهيب فى أداء الأعمال المادية حتى ليخيل إلى أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق فى نواحى الإنتاج المادى والأدبى . .

وكثيراً ما كنت أذكر قول أبى الطيب المتنبى :

إنا لفى زمن ترك القبيح به · من أكثر الناس إحسان وإجمال !!

فأحس مقدار هبوطنا عن المستوى المادى الإنسانى الرفيع فى الاتقان والإجادة !!

إن النجاة من السقوط قد تكون شيئاً مقبولا ، ولكن ليس كل نجاح يحسب تفوقاً . قد يبدأ إنسان من العرج ويستطيع السير ، ولكنه لا يمنح جائزة بتاتاً فى العدو لمجرد القدرة على المشى .

والمتنبى يحتقر أهل زمانه لأنهم فقدوا ملكة الإجادة ولا يحسنون فعل العظائم .

فكيف لو رأى المعاصرين لنا من موظفين وعمال فى كل شأن دق أو جل .

أن هؤلاء — لانعدام بواعث الإيمان والتقوى — تعوج فى أيديهم الأعمال المستقيمة فلا يصلون بها إلى المستوى المقبول بله مستوى النبوغ والعبقرية !!

راقبت يوماً بعض الناس الذين تكثر دعاواهم ولا تؤمن بلاياهم ثم عدت من نظرتى إليه ، وأنا أضع يدى على سبب مبين من أسباب تأخرنا .

نظرت إليه فإذا العمل يخرج من بين يديه ناقصاً غير تام ، شأنها غير جميل ، ووجدته لا يأس على ذلك ولا تحركه أشواق إلى ادراك مافاته ، وبلوغ مرتبة أفضل .

فعلمت أنه إنسان تنقصه موهبة الاتقان ، وأن أمامه أشواطاً واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب يده المهارة المطلوبة وتستحب نعمة الإجادة والتفوق .

(٢ — ...)

وأعدت النظر مرة أخرى فى سلوكه فرأيته يطالب على عمله الناقص ثمناً كبيراً ويرتقب من غيره التقدير المضاعف .

أو هو يفرض على الآخرين مطالبة مهما تفدحت دون تقديم مقابل معقول . . ! !

فأحسست أن له طبعاً جشعاً كثير التطلع إلى طيبات الحياة . وليته يتوسل إلى مطامعه بجهد مبذول مقدور .

كلا ! إنه من الناحية النظرية ضعيف الكفاية ومن الناحية النفسية ضعيف الأمانة .

فأى بلاء هذا . . ؟

أمثال هذه العلل هبوط حقيقى بالمستوى الإنسانى . ونزول مؤكد عن مرتبة الإحسان التى يفرضها الدين ، ويبنى تربيته على تحصيلها .

إن الحصاد النهائى لجهد البشرى بعد طول الكدح فى هذه الحياة . أن يخرج الإنسان من هذه الدنيا بثمرة واحدة هى « العمل الحسن » .

وذلك ما أكده القرآن الكريم عندما قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »(١) .

وقال : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »(٢) .

فأى عمل حسن لامرىء تخرج الأعمال من بين أصابعه وكأنما أجهض عنها فهى كالسقط الذى لم يكتمل ملامحه ! وأى عمل حسن لامرىء منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط ، وعلى الدنيا أن تلبى ! !

أن النجاح الكبير فى هذه الحياة وعند الله أن تنمى عقولنا وقلوبنا تنمية توفى على الغاية ، والله جل شأنه يقول : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٣) الإيمان والإصلاح قرينان لا ينفكان .

وليس من الإصلاح المنشود المفروض أن يكون الإنسان غير مأمون على إجادة واجب أو غير مأمون — إذا أجاده — على المغالاة فيه ، وطلب مكانة لا يستحقها عليها !

ومرة أخرى نقول : إن إعادة الحياة إلى العقيدة الإسلامية لتحتل مكانها فى الضمير ثم إلى الشريعة لترسم خط السير فى المجتمع الكبير هو وحده طريق النهوض الصحيح .

---

(١) الملك : ٢ (٢) الكهف : ٧ . (٣) الأنعام : ٤٨

تناول الدين بين الجد والهزل

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

بين الإنسان العربى اليوم والإنسان العربى فى صدر الإسلام بون بعيد بعيد. قد يكون إنسان اليوم أنخر ملبساً، أو أدسم مطعماً وأوفره مركباً، ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة إلى أبيه الأول وسلفه العظيم !!

لقد ظهر العرب — منذ بدأ بالإسلام تاريخهم — أمة تقود ولا تقاد، وتدفع ولا تندفع وتمنح الآخرين المعرفة والخلق والقانون الحضارة لأن ثروتها فى هذه المبادئ هائلة وحاجة الغير إليها ماسة، والرغبة فى العطاء موفورة.

أما عرب اليوم فيدهم السفلى ممدودة ترتقب العون المادى أو الأدبى ممن يعطى إذا شاء أو يأبى إذا شاء، وقد يتلقون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لفرط هوانهم أن يرفضوا ضيماً أو يدركوا ثأراً.

إن الفروق بين الإنسان العربى اليوم، والإنسان العربى أمس جسيمة، لأن الإنسان بالأمس كان صاحب إيمان عميق، وخلق عظيم، وقدرة على الحياة خارقة، وهمة فى اجتياح العوائق فائقة !.

أما إنسان اليوم فعريان من هذه الخصائص المعنوية.

ونحن اليوم نبذل جهود الجبابرة كى نطوى المسافة بين حاضره وماضيه، كى نعيده إلى الدين الذى صنع أمجاده، وجعل له فى الدنيا دوياً كبيراً، ولم يكن قبله شيئاً مذكوراً.

والناس قد يأخذون الدين شكلا لا موضوع له، وصورة لا روح فيها.

وهذا اللون من التدين قد يكون أسوأ من الإلحاد المكشوف، لأن التدين المصحوب بالضعف والبلادة والذهول والغفلة تدين سخيف مهين، لا وزن له عند الله، ولا أثر له عند الناس !.

وعندما حاول بنو إسرائيل قديماً أن

خذوا الدين بهذه الطريقة السمجة هددهم
، جل شأنه بالسحق أو يأخذوا الدين أخذاً
قولا . !

أجل ، لقد انتزع جبلا من مكانه ،
هددهم بالدفن تحت ركامه ، إذا كانوا
يتناولون تعاليم الدين بعزيمة خائرة وفكرة
امضة ، قال تعالى :

« وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة
وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »

وأخذ الوحي الإلهي بحماس باطن وظاهر
واستبصار ما فيه على نحو ينفي الغفلة والنسيان
أمران لابد منهما للتدين الحقيقي .

والأمة التي تنظر إلى معالم وحيها ببرود
وقلة اكتراث ، أو التي تغلبها أهواؤها فتنسى
ما كلفت به ، وتمضي وفق هواها لا وفق
هداها ، أمة ليست أمينة على رسالات الله ،
ولا جديرة برعايته .

وقد حكى لنا القرآن ما هدد الله به قديماً
بني إسرائيل حتى نعرف سراً من أسرار
سخطه على الأمم .. وعندما أطيل النظر في
أحوال العرب اليوم أجد علل تأخرهم ظاهرة
لأن انتماءهم إلى الإسلام قشرة رقيقة على
كنود غليظ !!

الناس يؤدون أعمالهم وكأنهم ممثلون لن
يأخذوا أجراً فلا إتقان ولا إخلاص ولا جد
ولا تضحية .!!

أسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة
بله العقيدة الدافعة .. التكاذب المستمر هي
العملة المتبادلة ، والتجهم للحقيقة أساس في
السلوك العام .

وسائق السيارة !! يجب أن يلقب
بالمهندس !! والحلاق بالطبيب !! والساعي
بالريس !! الخ .

وجنون الرياء والظهور يفتك بالأفراد
والأسر والطوائف .

والغرائز الجنسية تقتحم الحدود المفتعلة
وتسلك آلاف الطرق المعوجة ، بعد أن هجرت
الحلول الصحيحة لمشكلاتها .. !

وضعف الشخصية يستقد[illegible] من تقليد
المتنصرين في الشرق والغرب ، ويجعل المجتمع
العربي خليطا من المضحكات المبكيات يندى
لها الجبين .

إن الإسلام عنوان غير صحيح للأمة
الإسلامية المترامية الأطراف وللأمة العربية
التي تتولى بحكم لغتها مكان القيادة لجماهير
المسلمين .. وقد نجح الاستعمار الأجنبي في
ألا نأخذ ما أوتينا بقوة وألا نذكر ما فيه ..

ومن هنا استطاع أن يصرفنا عن لباب ديننا ، وأن يسلمنا بالقشور الفارغة ، وأن يدفعنا على مر الأيام إلى الخلاص منه ، والارتداد النهائى عنه .

وأخطر مابلغه إيجاد مجتمعات خالية من فضائل العقيدة وروابطها ، والويل لأمة تمارس شئونها المختلفة ، وأمرها فرط وقلبها خرب ، وعقلها هواء .

وربما كانت سنة الله فى الأولين تخويفهم بالخوارق حتى يرعووا ، ورفع الجبال فوق رءوسهم كى يزعجهم فيستقيموا ولكن الله لم يرفع جبال (البرانس) فوق عرب الأندلس حتى يدعوا مجونهم وفجورهم فإنه ترك بين المسلمين كتاباً يقول لهم : « من يعمل سوءاً يجز به »

فلاجرم أن يطردوا من ديار لم يحسنوا الخلافة عند الله ورسوله فيها !!

إن القرآن الكريم صارم الحكم على أبنائه وأعدائه جميعاً ، وعندما زعم أهل الكتاب السابقون أن الجنة حكر لهم مهما كانت أعمالهم كذب الله هذه الأوهام ، وكشف أنه لايستحق كرامته إلا من اتجه إليه بالعمل الصالح « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

فإذا كان العرب لايولون وجوههم شطر دينهم ولايتحرون إحساناً فى أمورهم فهل يتوقعون إلا المخاوف والأحزان ؟

فى الأمم الجديرة بالحياة والنصر يؤدى الواجب برغبة باطنة ، ودقة ظاهرة وينطلق الكبار والصغار إلى وظائفهم وحرفهم بباعث من الشوق ، لايسوط الرهبة ، ويتنافس المتنافسون فى إحسان ما بأيديهم ابتغاء وجه الله ومثوبته وإخلاصاً للأمة ، ومستقبلها قبل أن يكون شىء من ذلك نظير قروش أو جنيهات .

وقد كان العرب الأولون تمشياً مع تربيتهم الدينية الأصيلة نماذج رائعة فى هذه الميادين ، فلما شبت الأجيال الأخيرة فى غير منابتها وأعوزها معنى الإيمان والشرف فى حركتها وسكونها ، خانها التوفيق فى الحرب والسلم ، فى الداخل والخارج !!

وما أشك فى أن العرب يتعرضون لعذاب الاستئصال إذا لم يأخذوا الإسلام بقوة ويذكروا مافيه لعلهم يتقون .

مايمنع الإنسان العربى المعاصر أن يكون كأبيه القديم اعتصاماً بالوحى وامتداداً معه وعيشاً فى إطاره أو موتاً فى سبيله ؟

إن الوحدة التى نتقلب فى حماتها ماينقذنا منها إلا هذا المنهج القويم المبين . أما الدعاوى العريضة دون سند من يقين وفداء فقد افتضح خبؤها للخصوم والأصدقاء على السواء ، وأضحت عديمة الغناء .

نحن فقراء إلى جيل آخر من الرجال ..

والرجولة المنشودة صفة أضفاها الله فى القرآن الكريم على صنفين متميزين لم يمنعها غيرهما !

الصنف الأول : أولو النجدة والوفاء الذين يقولون الكلمة ويموتون عندها صدقاً مع ربهم واحتراماً لأنفسهم ، وكأنى أنظر إلى أنس بن النضر وهو يقول لرسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين أما والله لئن التقينا بالمشركين ليرين الله ما أصنع !

هذه يمين إنسان عازم الثقة بنفسه ، وقدرته على الصمود والتضحية ! يمين من ورائها إيمان بعيد الآماد لايزيغ ولا ينبو !!

ولقد ثبت هذا الرجل فى أحد وتلاشى كيانه بين أسلحة أعداء الله ، ولكنه هو وأنداده من الأبطال كانوا كالجسر الذى عبر عليه الإسلام إلينا وإلى قرون أخرى لا يعلمها إلا الله . وجدير بهم ما نزل فيهم من كلام الله الخالد :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

أما الصنف الآخر من الرجال فالذين نتطلع إلى ملامحهم الطيبة الطاهرة منهم مدمنو الصلاة ، عشاق المساجد ، ذاكرو الله بالغدو والآصال ، أصحاب السرائر الصافية والأيدى السخية والضمائر المراقبة لربها المستعدة ليوم الحساب .

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار »

هل نطمع أن نربى الناشئة على هذا الغرار وأن يكثر فى أمتنا هذا اللون من الرجال ؟

إن العين تلمح أجساداً متحركة بمآرب الدنيا . وبُغام كبار وصغار نسوا الله فأنساهم أنفسهم . ذلكم هو الغثاء الذى يضيع به اليوم والغد . فهل نتغير ليغير الله ما بنا .؟

إن المزائم السود التى أصابتنا تعود قبل أى شىء إلى قلة الرجال الذين شرع الكتاب نعوتهم ورسم مستواهم !

إن الرجولة عندنا صفة جسدية ترادف الذكورة ، ومع ذلك فهى رجولة ترفض المشقات وتعشق الملذات وتحب الشبع والرى والزينة والظهور الشخصى مثلا رفيعة !

والكثرة من هؤلاء قلة ، والعراك بهؤلاء لا أمل فيه !

قد أسأل نفسى : لماذا يخرج العمل تائهاً أو تافهاً من أيد كثيرة عندنا ، مع أن المعارف النظرية لإكماله وإعلائه موفورة .

والجواب الذى لا أرى غيره : هو فقدان الإيمان الحار والاعتقاد الموجه ، وتحول الدين فى القلوب إلى قوة كهربائية محاطة بالمواد العازلة المعطلة لأثرها .

وقد عرض ذلك لأهل الكتاب الأولين فأفسد أمورهم وأحبط أجورهم .

وحذر الله المسلمين منه عندما قال لهم : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والواقع أن الإنسان العربى اليوم أشبه باليهود والنصارى أيام البعثة وعلى عهد الخلافة الراشدة .

إنسان طال عليه الأمد واستغلق فؤاده دون هدايات الله .

بل وجد فى العرب اليوم من يضيق بالانتساب إلى الإسلام ومن يغضب إذا ذكر بأحكامه وشرائعه وشعائره !

وان تعود للعرب قائمة إلا بعودة حية قوية واضحة للإسلام تنسج حياتهم الفردية والجماعية على المنوال الذى نسج حياة آبائهم فى العصر الأول فطلع بهم فجر ، وولد بهم تاريخ . .

دعاء مأثور

روى الإمام مسلم — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها وتولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

سير الأمم بين الأصالة والتجديد

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى
الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

لو أن استمساك المسلمين بدينهم ضرب من التقليد الجهول أو التعصب الذميم لكنت أول الناقمين عليه والمحاربين له !.

ولكن المسلمين المتشبثين بدينهم فى وجه ضغوط هائلة ومكايد ظاهرة وباطنة يفعلون ذلك عن وعى سليم واقتناع كريم ..

ولو أن دعاة التحلل ونبذ الماضى أو التطور والانطلاق مع المستقبل - كما يقولون يؤثرون هذه الوجهة بعد مقارنة ودراسة وحوار مفتوح ونقاش نزيه لأ كننا لهم شيئاً من الحرية وعذرناهم عندما يخالفوننا فى رأى !!

ولكن هؤلاء يريدون بالختل حينا وبالعصا حينا آخر، أن يصرفوا الجماهير عن غايتها ويفتنوها عن عقيدتها. فإذا عز عليهم بلوغ مآربهم وجدت أعداء الرأى الحر يصفون غيرهم بالجمود ! ووجد أذناب التيارات الدخيلة يرمون سواهم بالتقليد ! ووجدت عملاء النحل الفاسدة - قديمة كانت أو محدثة - يتهمون رجال الإسلام بالتخلف ..!!

ومع أن الإسلام منذ بدأ إلى يوم الناس هذا دعوة إلى الحياة والابتكار والفكر الذكى والنشاط للوصول ، فقد انقلبت صورته فى أذهان هؤلاء وأصبح الإسلام وحده دون سائر الملل والمذاهب سبب التوقف .

وأصبح دعاته حصن الرجعية وآفة المجتمع وغير ذلك من النعوت التى يخترعها سماسرة الغزو الثقافى .

لقد تقدمت اليابان منذ أكثر من قرن ولم يجد رجالها حرجاً من الانتفاع بالعلم العصرى فى مجاليه النظرى والتطبيقى دون أن يعلنوا حرباً على ماضيهم ودون أن يشتبكوا مع الشعب فى حرب ضروس ليصرفوه عن ديانته الوثنية .

وتقدمت الولايات المتحدة فى ميدان الارتقاء العام مع حرصها البالغ على حماية

شتى المذاهب الكنسية بل على نشرها هنا وهناك !!

ولقد قرأت وصفاً لتكفين الرئيس كيندى بعد مقتله نشرته مجلة المختار فى يناير ١٩٦٤ وهو وصف ينضح بمكانة النصرانية وتقاليدها وإطباق الرسميين والشعبيين على احترامها جاء فى الوصف المذكور هذه العبارة « فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة والخمسين بعد الظهر أى بعد ٢٧ دقيقة من اغتيال « كيندى » استدعى اثنان من القسس الكاثوليك فى « دالاس » هما . الأب « أوسكار هوبر » والأب « توماسون جيمس » ليكونا إلى جوار الرئيس وسحب الأب هوبر الغطاء عن وجه الرئيس ثم غمز سبابته فى الزيت المقدس ورسم علامة صليب على جبهة كيندى وقال باللاتينية : « إننى أغفر لك كل لوم وخطايا باسم الأب والابن والروح القدس آمين !! وإذا كنت حياً فليغفر الله بهذا الزيت المقدس كل خطاياك » . !!

هذه التقاليد المسيحية فى أمريكا لم تعلن عليها حرب شعواء حتى تستطيع الشعوب التقدم وتساير موكب الزمن الزاحف كما يحرف بيننا بعض من لا وزن لهم من حملة الأقلام « المرموقة » !

لقد بقيت هذه التقاليد وحدها ومضى الأمريكيون فى طريقهم يغزون الفضاء حيناً ويعدون بعثات التبشير بالعون الأدبى والمادى حيناً آخر ..

ولنترك اليابان والولايات المتحدة ولننظر إلى إسرائيل عدونا اللدود !

إن قيام هذه الدولة على الدين حقيقة أوضح من فلق الصبح ، والألوف المؤلفة من اليهود الذين يقيمون فى أمريكا يعدونها بما فى طاقتهم من جهد لتنهض وترسخ ، وهم يدفعون السياسة الأمريكية دفعاً إلى هذا المجرى المكشوف مستجيبين بذلك لنداء الأخوة الدينية اليهودية ومستغلين العداء التاريخى نحو الإسلام وأمته من مواريث الصليبية القديمة ، ومع هذه الحقائق الملموسة فإن العصابة المتاجرة بالقلم فى بلادنا تنكر أن يكون للدين أثر فى الجبهة المعادية لنا . لماذا ؟؟

حتى تخفت الأصوات التى تطلب إحياء الإسلام بين العرب .

حتى تكون الحرب ذات طابع دينى هناك وذات طابع مدنى هنا .

إن تمويت الإسلام هدف مقصود لذاته ، ولو كان فى ضياعه ضياع العرب وفشل قضاياهم وتمزق شملهم واضمحلال أمرهم إلى الأبد !!

وأنا أعلم - كما يعلم غيرى - أن هناك يهود لا يتجاوبون مع إسرائيل فما دلالة هذا ؟

هل إذا كره بعض الانجليز الاستعمار وصفنا الشعب الانجليزى بأنه برىء من الاستعمار وأنه لا يحمل تبعات حروبه الدامية فى أفريقيا وآسيا وغيرها بضعة قرون ؟

إننا لم نصف كل يهودى على ظهر الأرض بأنه معتد على العرب ولكننا نصف الجمهرة الساحقة من اليهود بأنها من وراء قيام إسرائيل على أنقاضنا بدافع دينى أعلنه ساستهم وقادتهم . فلم المماراة فى هذه الحقائق الصلبة .

بيد أن الذين يعنون إبعاد الإسلام عن ميدان الكفاح بل إبعاده عن أسباب الحياة أو إبعاد أسباب الحياة عنه يمضون فى طريقهم مكابرين معاندين .

فعندما خطب رئيس الدولة فى عيد القاهرة الألفى وارتقب « كيف تستطيع شعوبنا أن توفق بين الأصالة وهى التاريخ وبين التجديد وهو المستقبل » قلنا ـ نحن المؤمنين من أبناء هذا الوادى ـ إن هذه عبارة تدعو إلى التفاؤل ، إنها توحى بأن نبنى على قواعدنا وأن نندفع مع تيارنا وأن نجتاوب مع طبائعنا العربية المسلمة .

فالأصالة فى حياة أمة هى صورتها الروحية وصبغتها الفكرية والخلقية وملكاتها فى توجيه الحياة وفق عقيدتها وشريعتها .

وإذا كان لنا نحن العرب ـ تاريخ لا مع وحضارة مشهورة فرد ذلك أجمع إلى الإسلام وحده وتستطيع الأمة الذكية أن تواءم بين جذورها فى الماضى وحركتها إلى المستقبل .

وإذا سهل ذلك على أمم ذات تواريخ تافهة أو أديان شائهة فكيف يصعب على أمم أساسها الإسلام باعث الحياة فى الرفات الهامد وموقد الشرر فى الحجر الجامد ؟

إلا أن جريدة الأهرام طلعت علينا بحديث للمستشرق « جاك بيرك » يفسر فيه الأصالة تفسيراً مقلوباً ويردها إلى عناصر مادية وآلية ! ويرتاب فى قيمة الاخلاقيات والأدبيات والجماليات من حيث هى المعالم الأولى للأصالة .

ويرى هذا المستشرق العبيب أن بناء السد العالى دلالة بارزة على الحضارة المصرية « الأصيلة » !

ثم يمضى فى حديثه الموغل فى التضليل واللف إلى أن يكشف عن نفسه أخيراً أو يكشف عن الهدف الذى استقدمته من أجله جريدة الاهرام فيقول تحت عنوان :

« ليست الأصالة هى العودة إلى الماضى »

« لقد ولى إلى الأبد بمحاسنه وعيوبه كل ما سبق الثورة الصناعية المعاصرة التى اجتاحت وما تزال تجتاح كل أنحاء العالم وكل صفات الحياة الإنسانية فردية كانت أم جماعية

والأصالة اليوم أن نكشف ذواتنا وأن نهيئها للانسجام مع عالم هـذه الثورة الصناعية لمكتسحة وماهو أبعد منها »

ولا يحتاج المرء إلى جهد قليل أو كثير ليشعر بأن القصد من هذا الحديث منع العرب من التفكير فى دينهم والامتداد مع أصولهم السماوية ومثلهم النفسية والاجتماعية

إن ألوف الحيل تختلق اختلاقاً لجعل أمتنا تحيا بعيدة عن ينابيعها الروحية حتى لو أحرقها الجفاف وأضنتها الحيرة . بل حتى لو تهددتها الهزيمة وأحدق بها العدو . . فلحساب من هذا كله ؟

أما الثورة الصناعية التى أشار إليها هذا المستشرق فهى حصيلة الارتقاء العلمى الذى ساهمت فيه شتى الأجناس والحضارات ، والأمم الكبرى تستغل تفوقها الصناعى فى دعم فلسفتها الفكرية ومذاهبها الاجتماعية .

أى أن هذا التقدم الصناعى وسيلة لخدمة الأهداف الإنسانية للأمم كما تراها كل أمة فالجهاز الصناعى الهائل فى أمريكا يخدم المنهج الرأسمالى الذى آثره أصحابه ، ومثيله فى روسيا يخدم المنهج الإشتراكى المضاد فكيف تتحول الوسيلة إلى هدف كما يريد لنا هذا المستشرق ؟

إن الأصالة ترجع ابتداءً إلى أسلوب الحياة الذى يريده لأنفسنا ، وهذا الأسلوب لاينفك عن أركان ديننا وأصول حضارتنا وتاريخنا .

وكما يستغل اليهود وغيرهم التفوق العلمى والعملى فى إعزاز جانبهم وفرض أنفسهم يجب أن يعمل العرب ويربطوا ماضيهم بحاضرهم !

أهذه مشكلة معقدة ومعادلة صعبة كما يصور بعض الكتاب ؟ هل ارتباط كل أمة بدينها سائغ مقبول أما ارتباطنا بإسلامنا فمشكلة المشاكل ؟

إن العودة إلى الماضى فى حياتنا — نحن العرب — معناه استبقاء الرسالة التى تملأ القلوب الفارغة وتنظم الصفوف المعوجة وتقمع الأهواء الفاسدة وتجعل البشر عباداً لله صالحين ، وخلفاء على أرضه مكرمين .

إن العودة إلى الماضى تعنى أن نستصحب الوحى الإلهى فى سيرنا ، ونستبقى هداه على طريقنا ، أفذاك ماتحرج به صدور وتغتاظ منه أقوام .

لماذا ارتفع هـذا الحرج فى المجالات العالمية لما عاد اليهود إلى ماضيهم وأقاموا باسمه دولتهم ؟

لماذا لم تتجه جهود الغرب التبشيرية إلى اليابان الوثنية واستماتت فى حرب الإسلام وحده والتنكيل بأتباع محمد ؟

سيقول ممارسة الغزو الاستعمارى

للعرب : إن العودة للماضى أن نعود إلى ركوب الإبل ..

ونتجاوز هذا الهزل لنقول لأصحابه : بل نريد من هذه العودة أن نهذب حيوانيتكم التى طفحت وجعلتنا أضحوكة الناس .

ففى هذه الأيام واليهود جاثمون على صدرنا ممسكون بخناقنا تنشر الأهرام هذا الإعلان عن رواية جنسية تعرض فى سينمات القاهرة — وهى التى استدعت المستشرق جاك بيرك ليناقش قضية الأصالة — فتصف كيف سرقت طاهرة رجلا من بيته وكيف « تضمه إلى صدرها فناتاً تنقصه حرارة القبلة وتشهى هى الأخرى طعم الحب . وتبدأ بين الاثنين قصة .. قصة الفنان المتزوج من امرأة تبلدت عواطفها وقصة الفتاة الصغيرة الناضجة التى تشتهى المتعة واللذة !! . وعلى الشاعرية . . على النبضة القصيرة والطويلة والعريضة تروى الأيام أحلى وأطعم قصة عشق .. الخ » (١) .

هذا هو أسلوب الحياة المتجددة التى نتسلخ بها عن الماضى ونواجه به عدوان الصهيونية والاستعمار على بلادنا .

هذا هو الأسلوب الذى يستأجر له مستشرقون يفسرون الأصالة بأنها جملة من العناصر المادية ..

وعلى هذا النحو تعمل السمسرة الأدبية فى إضاعه الماضى والحاضر والمستقبل جميعاً .

(١) الأهرام ٣٠/٣/٩٦٩

من آداب الحرب فى الإسلام

من وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأحد أمراء الجيوش بعد أن أوصاه بتقوى الله قال :

« بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر ، والزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .. ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرقوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وفى شن الغارات ، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، وذلك هو الفوز العظيم »

تفتيت الحقيقة بداية التحول عنها

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

أصاب جهاز « التلفزيون » عندى عطل مبهم فلم تظهر الصورة المرتقبة ونظرت إلى الجهاز الجاثم فى مكانه لا يؤدى عمله نظرة استغراب!!

وتحسسته بيدى فخيل إلى أنه لا ينقص شيئاً من آلاته الجلية والخفية.

وأخيراً جاء العامل المتخصص فى إصلاحه واستبدل بجزء تالف منه جزءاً صالحاً، واستأنف الجهاز عمله، وشرع يحقق الفائدة المرجوة منه!.

وقلت فى نفسى: إن الجهاز كله توقف عن أداء رسالته حتى تعاونت أجزاؤه الصغار والكبار على تحقيق وظائفها المنوطة بها!! ولا عجب فقد تتوقف الدبابة عن السير والقتال لقطعة تنقصها فى مقدمتها أو مؤخرتها.

وقد يتعطل مصنع عن الإنتاج تكلف إنشاؤه الألوف المؤلفة من الجنيهات لأنه يفتقر إلى تكملة لا تساوى مائة جنيه!. وهكذا شئون الحياة الأدبية والمادية قد يصيبها عطب فادح لأن شطرها وأغلبها موجود، وبقيتها الأخرى مفقودة عن خطأ أو تعمد.

ومن ثم ترى أمامك أشياء صالحة، ولكنها قليلة الجدوى لأنها مبتورة، وماتتم قيمتها وتبرز ثمرتها إلا إذا زادت الحياة فيها وفيما يكملها، وعندئذ ينطلق التيار فى دائرته المغلقة فيسطع النور.

إن تعاليم الإسلام كذلك، لا تصلح الحياة وتقيم المجتمعات إلا على النحو الذى شرحنا.. وعناصر الوحى التى تشبه عقاقير الأدوية لا يتم الشفاء بها إلا إذا أخذناها كما جاءت. أما إذا طرحنا عقاراً وتناولنا آخر فلن يذهب لنا سقام، وقد وجدت أن كثيراً من علل المسلمين الفكرية والنفسية، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع إلى أنهم

يجحدون من بعض النصوص ويهزلون من بعضها الآخر، فلا يحصدون من هذا التناقض إلا ضياع النصوص كلها . ! ولا يفيدون من النصوص التي عملوا بها - فيما يزعمون - شيئاً طائلا ! لأن وجودها المنقوص في المجتمع كوجود جهاز التلفزيون الذي سقت لك خبر عطله أول هذا المقال .

تأمل معي هذا الحكم الشرعي في فرع من فروع الفقه الإسلامي ، لقول الله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ..)

إلى هنا يمكن تقدير الحكم العملي في شأن يتصل بكيان الأسرة ، وربما لا يشغل العلماء أنفسهم عند تقرير الحكم بأبعد من ذلك عند إيراد النص .

أفهذا ما فعل القرآن الكريم ؟ لا ، لقد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فنوناً من النصح والتأديب والتربية بضيع المجتمع إن أضاعها .

فقال جل شأنه :

(١) « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه »

(٢) « ولا تتخذوا آيات الله هزواً »

(٣) « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به »

(٤) « واتقوا الله »

(٥) « واعلموا أن الله بكل شيء عليم »

وعندما توجد في بلادنا أحكام الطلاق ولا توجد معها بقية المعاني التي صاحبتها في هذه الآية فسوف يلعب بكتاب الله ولن تزيد الأمة إلا خبالا ..!!

خذ مثلا آخر ، لقد نهى الإسلام عن السرقة ، وأمر بقطع يد السارق ، بيد أن هذا الحد من حدود الإسلام يكون خيراً وبركة مع إحياء أوامر الله كلها وإقامة شعب الإيمان الكثيرة التي تسد يقيناً كل ثغرة ، وتمنع أي غبن ، وتطارد آفات البطالة والجوع عند البعض . وآفات الحيف والنهب والسرف عند البعض الآخر .

أما مع رفع كل رقابة عن طريق الاكتساب وإتاحة الثراء من شتى الوجوه الحرام ، وإيقاع الضعاف في عقابيل البأساء والضراء ، فالأمر يحتاج إلى تبصر في التطبيق .

ومعاذ الله أن نتريث في إقامة حد من حدود الله ، ولكننا نقول مقالة الحسن ، وقد رأى الشرطة تقبض على لص فقال : سارق السر يسعى به إلى سارق العلانية .!!

وما كذلك دين الله .

وسمعت متحدثاً فى الدين يذكر أنه لاحدود للمهر ، ويستشهد بقصة المرأة التى اعترضت عمر بن الخطاب لما أراد تقييد المهور.

والقصة صحيحة ، ولكن المتحدث قليل الفقه فى الإسلام ، ضعيف الشعور بمآسى المسلمين اليوم !! إن جمهرة الشباب ألفت أن تقضى صدر عمرها ولا أقول شطره فى التسول الجنسى والانحراف الشائق وكل تعسير للحلال سيتبعه ضمنا تيسير للحرام .

فكيف يلقى فقيه ربه بإقرار هذه الحال أو إقرار ما يؤدى إليها يقينا ؟؟

إن قصة عمر مع المرأة المعترضة تفهم فى جو كان الرجل يستطيع الزواج فيه مثنى وثلاث ورباع . وكان الحرام يقع فلتات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة .

أما اليوم فإن العرف السائد بين جماهير المسلمين من الزواج والمهور والهدايا لاصلة له بتقوى الله ، ولا إشاعة الاستعفاف ، ولا إقرار الطهر النفسى والاجتماعى .

إنه عرف يقوم فى جملته على رذائل الرياء ، والكبرياء ، ورغبة أسر كثيرة فى الانتفاخ والتعاظم.. إن الإسلام كل لا يتجزأ والشبكة التى تنسخ تعاليمه الدقيقة تفقد جدواها عندما تخرق من جانب واحد ، فكيف إذا تعددت فيها الخروق وتفاحش الإهمال والتلف ؟

والواقع أن هجر بعض الأحكام الاسلامية وإلف بعضها الآخر هدم لمبدأ السمع والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين .

فإن تقسيم الوحى الإلهى على هذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيما للهوى الشخصى فيما ورد ، فما أعجبنا قبلناه وما لم نستسغه رفضناه.

وهذا قريب من مسلك المشركين أنفسهم مع رسول الله ، فإنهم لم يردوا كل ماجاء به ، بل وافقوه على البعض وحاربوه على البعض الآخر ، ولذلك أمره الله بالثبات على الكل وقال:

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا نزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير ، والله على كل شىء وكيل »

واتباع الهوى فى استبقاء حكم وإطراح آخر معناه أن ما استبقى ليس لأن الله أمر به فقد أمر بغيره كذلك فلماذا ترك ؟

فمعناه أن ما استبقى ظفر بالحياة لأنه أرضى رغباتنا فقط ، ولو صادمنا لطوحنا به هو الآخر

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن فساد بنى إسرائيل نشأ مع هذا العوج فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء . ففعلوا بعضها ، وتناسوا بعضها ، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم ولا يرتبطون بأمر الله ونهيه .

فكان التعقيب الإلهي على هذا السلوك « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »

الأمة الإسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول ، وأمر الإسلام فى كل دولة منها يستحق الدراسة. ويؤسفنى أن أقول : إنى لم أره مكتمل الشكل والموضوع فى قطر من أقطار الفيحاء .

هناك مجتمعات لاتعترف بالحدود والقصاص ، ومجتمعات لاتعترف بدساتير الحريات والحقوق ومجتمعات لاتعترف بالحلال والحرام وأخرى تترك الصلاة والصيام وأخرى .. الخ

وأعداء الإسلام كلما رأوا جزءاً منه أصابه الشلل سارعوا بالتدخل الماكر ليزيدوا الطين بلة ، أوليزيدوا المريض علة .

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفرطين أن يرجعوا إلى دينهم كله ، لايدعون منه شيئاً ، ولايفرطون فى جانب ، ولا يأذنون لعدو ساخر ، ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فذاك وحده طريق النصفة والانتصار .

إن شعب الإيمان التى تبلغ السبعين موزعة توزيعاً دقيقاً على الدائرة الرحبة التى تمتد إليها وظيفة الإيمان وتنتشر فيها أشعته.

ولما كان الاسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة ، وتتناول المعاش والمعاد فى إطار من معرفة الله ورقابته فإن تعاليمه تشبه شبكة الأعصاب المبسوطة فى الكيان الإنسانى كله لاتخلو منها جلدة بين الرأس والقدم .

قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »

ومن الخطأ تصنيف تعاليم الإسلام على أساس فنى ، وتصور أن بعضها يقوى وينمو فى حين أن بعضها الآخر يذبل ويذوى .

إن ذلك قد يجوز فى عالم الدراسات النظرية حيث ينجح الطالب فى مادة ويرسب فى الأخرى لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية .

أما فى المجتمع الكبير فإن اعتلال بعض الاسلام ينقل العلة إلى البعض الآخر على عجل ، أوعلى مهل ما لم تسارع بالاستشفاء والتصون وإنفاذ أوامر الله فى كل مجال .

فضعف العقيدة مثلا ليس يترك أثره الردىء فى صلة المسلم بربه بل يتعدى ذلك إلى موقف الفرد من الجماعة ، وموقف

البقية على ص ٢٩

لاتختلف فهى قوانين كونية (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

ومن القوانين الكونية ، ومن سنة الله أن لاينصر إلا من ينصر دينه .

(ولينصرن الله من ينصره)

فإذا أردت أيتها الفتاة المسلمة أن تتفوق أمتك وأن تعلو ، فعليك بالحجاب والاحتشام ، وإذا أردت أيتها المرأة لنفسك ولزوجك وأولادك حياة مرفهة سعيدة فعليك بالحجاب والاحتشام .

وإذا أردت أيها الرجل لأمتك عزاً ومجداً ولنفسك حرية وأملا فأمر نساءك من زوجة وأخوات وبنات أن يحتجبن .

وإذا أردت أيها الشاب لوطنك نصراً ولأمتك زهواً وفخراً ، فلتعف عما ترى من تلك المباذل المقيتة وتلك المناظر الأثيمة التى يحوطها الخبث ويعلوها الاشمئزاز . ولتعلم أن هذا هو منظر الأمة الرقيقة لا المرأة الحرة الكريمة ولتتجه إلى بناء مجدك ومجد أمتك على الدين والعلم والخلق والشهامة والعفاف .

تفتيت الحقيقة بداية التحول عنها — بقية المنشور على صفحة ٢٥

الدولة من العالم أجمع . وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط . بل هو ذريعة إلى انهيار الأخلاق وانتشار الآثام .

وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس برودا فى عاطفة التدين فقط ، ولكنه آية على موت الضمير الاجتماعى ، وتلاشى رسالة الأمة .

فالاستعمار الحديث فى حملته على الاسلام لايقوم بهجوم شامل على كل شىء إنه أذكى من ذلك وأدهى .

إنه يصر على إماتة بعض التعاليم أو سرقتها من الوعى العالم عالماً أن مابقى سيتبع ما أخذ .

ترى هل سنخدع عن ديننا أم ندافع عن كل ذرة منه ؟!!

محمد الغزالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد *

لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾

بقلم فضيلة الشيخ محمد الغزالى

رئيس قسم الدعوة

وحدانية الله نتيجة محتومة لكل نظر صائب صادق فى هذا العالم الكبير !

ولنضرب مثلا بالجسم الانسانى ، اذ هو أقرب شىء الينا ، ان الأجهزة العاملة فيه كثيرة ، والوظائف التى تؤديها منوعة ، ومع ذلك فان الوحدة التى تنتظمها ، وتقر التناسق بين جهودها تدل على أن المشرف واحد ، وأن الذى صنع المادة فى هذه الأجهزة ، ورسم الخطة لسيرها ، ووزع شتى الاعباء عليها واحد .

ان الجهاز العصبى يصدر أوامره الى فروة الرأس وأصابع القدم ، والجهاز الدورى يمد الاطراف القريبة والبعيدة بحاجتها من الدم النقى ويطرد عنها ما يؤذيها من الدم المشوب ، وسائر الاجهزة المعقدة فى ذلك الجسم الساحر تتبادل الأعباء والحقوق تبادلا ينطق بوحدة الخطة والهدف ووحدة الخالق الأعلى ! ! .

وما يقال فى الجسم البشرى يقال فى هذا الكون « الراقص » على حد تعبير بعض العلماء — فان نماء سنبلة فى حقل قضية تشارك فيها الكواكب الدوارة فى الفضاء ، كما تشارك فيها حبات التراب وقطرات الماء عندنا ! ! .

فلولا هذا البعد الموزون بين الارض والشمس ما أمكنت حياة ، ولا نما زرع أو ضرع ! !

مما يدل كذلك على أن خطة الوجود من الأوج الى السفح واحدة ، وأن بديع السموات والأرض واحد ..

فاذا أصغينا الى قول العلماء الثقات أن داخل الذرة نفس النظام المطرد فى المجموعة الشمسية ، وأن اللبنة التى بنيت منها المادة الكونية هى هى التى تنتشر فى رحاب العالم أدركنا أن الله واحد ، وهتفنا مع القرآن الكريم « الله نور السموات والأرض .. » .

وسورة الاخلاص تتضمن الحديث عن وحدانية الله ، على أساس أن وجوده جل شأنه حقيقة فوق الريب . والواقع أن انكار الوجود الاعلى ليس تفكير عقل وانما هو بلادة حس .

والذين يزعمون أن التقدم العلمى يحرج الايمان بالله نفر من صناع الأكاذيب بين الناس ، والحادهم لا يعود الى نصيب محترم من المعرفة قدر ما يعود الى نصيب مضاعف من الغفلة والسماجة ! !

والوحدانية التى تقررها سورة الاخلاص تنفى أولا أن يكون لله شركاء ينازعونه الألوهية ، ويستحقون معه العبادة والحب والولاء والدعاء

وقد كان بعض العرب يؤمن بالله ، وأنه الخالق الرازق ، ولكنه يتخذ من بعض المخلوقات الخشبية أو الحجرية وسائط له ، يرجو بها الخير ويدفع الشر ، واذا سئل عن هذه المخلوقات التى يقدسها وينحنى لها قال : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ..

وقد رفض الاسلام هذا السلوك الغبى ، وأمر أن يقصد الناس الى ربهم مباشرة ، وأن يتركوا هذه الآلهة المختلقة ، وأكد الاسلام أن كل ما عدا الله — تبارك اسمه — عبد له فقير اليه ، فليس فى السموات ولا فى الارض ، ولا فى الاولين أو الآخرين ، من يشذ عن هذا الوصف

وظاهر من الاستقراء التاريخى أن الشرك بالله تخيل واعوجاج يسيطران على بعض الجهال ، وأنه ليس هناك فى عالم الواقع شريك فى خلق أو رزق .

واذا كان هناك من عبد حجرا فان المستقر الحقيقى لهذا الحجر أن يكون درجة سلم أو عتبة دار ..

واذا كان هناك من عبد بشرا فان المستقر الحقيقى لهذا البشر أن يلقى جزاء عمله ، اما بين أفنان الجنة ، أو بين طبقات النار . . .

أما رب العالمين ــ تبارك اسمه ــ فهو واحد لا شريك له ، له المجد كله ، وله الحمد كله . . أتظن أن مالك هذا الكون فقير ؟ أتظن أن مخترعه من عدم عاجز ؟ أتظن أن واضع نظمه وراسم سننه جاهل ؟ .

ان الله ــ بمنطق البداهة ــ غنى وغيره فقير اليه ، قادر وما عداه عاجز ، عالم ومن خلقهم لا يدرون الا ما يقفهم عليه ، الكمال كله فى ذاته، والنقص كله فى عالم مقهور لقدرته خاضع لسلطانه مرهون بمشيئته ، وهذا معنى « الصمد » .

اسمع هذه الكلمات لرجل من تلامذة محمد صلى الله عليه وسلم الذين تعلموا منه وحدانية الله ، والتسبيح بحمده واللهج بمدحه ، أخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته يقول : يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر . يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ، ولا بحر ما فى قعره ، ولا جبل ما فى وعره . اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتيمه ، وخير أيامى يوم ألقاك فيه . . » (١) .

أسمعت هذه الكلمات الحية أنها تصف الصمد الذى ليس كمثله شىء ولا يستغنى عنه أى شىء . .

---

(١) وتمام الحديث فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابى رجلا فقال اذا صلى فأتنى به فلما صلى أتاه وقد كان اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن ، فلما أتاه الأعرابى وهب له الذهب فقال ممن أنت يا اعرابى قال من بنى عامر بن صعصعة يا رسول الله قال هل تدرى لم وهبت لك الذهب ؟ قال للرحم بيننا وبينك يا رسول الله قال ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل . رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ــ قال فى مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمى وهو ثقة ــ كتبه محمد سليمان .

وهنا يبرز القرآن حقيقة تاه البعض عنها ، غش البعض جوهرها ، وهذه الحقيقة أن الفرد الصمد يستحيل أن يشبه العالم الذى خلقه ، فى صفاته أو حدوده أو خصائصه .

فالله يستحيل أن يكون والدا أو ولدا ، يستحيل أن يكون ابنا أو بنتا .

ان الازدواج طريق التكامل أو البقاء بين أجناس الخلائق .

وكأنما أراد الله أن يقيم بناء الكون على هذا النحو ليبدو فقر بعضه الى بعضه ثم فقره كله الى الخالق الأعلى ، فقال « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . . . ان الفرد الصمد خلق العالم بهذا الازدواج المطرد ، وبقى هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد « سبحان الذى خلق الأزواج كلها ، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

وقد نبه الاسلام الى أن هذا المعنى محور الايمان فيه ، فليس لله ند ولا ضد ، وليس له صاحبة ولا ولد « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » ؟ ؟

بيد أن الجاهلين تطاولوا على الله ، وأساءوا فهم ذاته ، وجعلوا شيئا ما ينبثق منها ويوصف بأنه ولد لله ، وقد سمى القرآن الكريم هذا المسلك كفرا « وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين » .

الخصيصة الأولى فى الاسلام أن ما عدا الله عبد له ، وأنه ـ سبحانه ـ أحد صمد ، لا والد له ولا ولد ، وأنه يستحيل أن يساويه كائن آخر فى الأرض ولا فى السماء . .

واخلاص التوحيد ينهض على هذه الدعامة ، ولا شائبة من حق فى أى لون من ألوان الشرك .

محمد الغزالى

الإلحاد ليس تطورا

بقلم فضيلة الشيخ محمد الغزالي

ربما شك بعض الناس فى حقيقة الدين الذى يعتنقه ، أو فى جدواه عليـــه .. !

فان ساور هذا الخاطر أحدا من خلق الله ، فان العربى آخر امرىء يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من المستحيل أن يساوره .. !!

ذلك أن فضل الاسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع .

لا أقول : أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بل أقول : أوجدهم من عدم ، وجعل لاسمهم حقيقة ، وأقام بهم دولة وأنشأ حضارة .. !

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشرى .. !

لكن الاسلام لمـــا جاء العرب شحذ هممهم ، وأنار عقولهم ، ووحد صفهم ، وطار بهم الى آفاق مادية وأدبية لم يحلم بها آباؤهم ، ولا تخيلها أصدقاؤهم أو أعداؤهم .. !!

ومضى العرب فى طريق المجد الذى شقه الاسلام لهم ، فعرفهم العالم وكان من قبل يجهلهم ، وأفاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره الا متعصب كنود .. !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون اذا تخلوا عنه ، ويستباح حماهم ! وهم يرتقون ويتقدمون اذا تشبثوا به ، وتحترم حقوقهم .. !

على عكس ما عرف فى أمم أخرى لم تســتطع التحليق الا بعــد ما تخففت من مواريثها الدينية ، كلا ، أو جزءا .. !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر فى هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من براثن عاتية ، وأن يدفعوا ثمن هــذا الخلاص مليــونا ونصفا من الشهداء .. !!

وما ينبغى تقريره فى هذا المجال أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسى ، الاسلام لا القومية .. !

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدءوا يستعيدون عروبتهم التى فقدوها خلال قرن وربع ، وضعت مشروعات لجعل الافراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها ، بعد ما كادت هذه اللغـــة تبيد أمام زحف الفرنسية وسيادتها فى الشوارع والدواوين .. !!

ان الاسلام بالنسبة الى العروبة ولى نعمتها وصانع حياتها ، وقد اعترف مسيو (جارودى) ــ وهو شيوعى فرنسى عاش ردحا من الزمن فى جبهة التحرير الجزائرية ــ اعترف بأن الدين وحده هو الذى أوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالى ، وأن الاسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشـــعوب .. !!

والاسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره لســـلالة معينة أو دم خاص ، كلا كلا ، ان الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ، ليعملوا بها وليعلموها من شاء . .

والله يأبى كل نعرة عنصرية أو استعلاء قومى ..

انها مبادىء محددة ، تنطلق الامة منها ، فتكون بعين الله ، أو تند عنها فيدعها الله لنفسها .. !!

بالوفاء لهذه المبادىء تصعد ، فان فرطت هوت ..

ولذلك يقول الله للمنهزمين فى أحد : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » فالعلو قرين الايمان .

وينصح الامة كلها بالطاعة والاصـــلاح ويتهـــدد عدوها بالطرد والهوان ، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض الاستسلام ، وسيكون المستقبل لها ان هى أبقت حبلها موصولا بربها :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم . ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم . فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » .

والتدبر فى هذه الآيات الثلاث يعطى فكرة بينة أن تفضيل الامة هو تفضيل سلوك ، ومنهج ، لا تفضيل دم أو لون .

وأن الايمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة .. وأنه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما مخزيا ، ولا أن يعطوا الدنية من أنفسهم .

ولهم أن يركنوا الى الله ، ولن يذل جانبهم ، ما آمنوا به وعملوا له .

واليقظة العزيزة التى صنعها الاسلام وهو يبنى الامة يمكن أن نتابعها فى مرحلتين :

الاولى : فى العهد المكى ، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الاقوياء ! لقد أمر المسلمون ابان هـذه المحن أن يثبتوا ويشمخوا بحقهم ، ويتنكروا لكل هوان ينزل بهم ، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم ، فان عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض .. !!

أنظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، أنهم :

« الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ».

فطلاب الآخرة ــ كما وصفتهم السورة المكية ــ ليسوا الذين يعيشون فى الدنيا أذنابا مستباحين ، أو ضعافا مغموضين أو كما يقوله الشاعر يصف قوما تافهين ..

ويقضى الامر حين تغيب تيم ... ولا يستأمرون وهم شهود

لا ، لا ، ان هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون أنفسهم على هذه الحياة الدنيا ، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير .. !!

لانهم اذا بغى عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها .. !

وليس هذا بالنسبة الى الحق الادبى للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الى حق الفرد فى ماله الخاص .

فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى .. ؟

قال : لا تعطه مالك .. !

قال : أرأيت ان قاتلنى .. ؟

قال : قاتله .. !

قال : أرأيت ان قتلته .. ؟

قال : هو فى النار .. !

قال : أرأيت ان قتلنى .. ؟

قال : فأنت شهيد .. !

هل هذه الوصايا هى التى تخدر الافراد والجماعات .. ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

فاذا تجاوزنا العهد المكى الى العهد المدنى نجد توجيها ينبع من هذه الروح الابية الشامخة .

ان الهوان جريمة ، وقضاء الحياة فى ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط فى الدار الآخرة .. .

ومن هنا أثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا فى الدنيا سقط متاع ، وأحلاس ذل .. !

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

والهجرة المفروضة هنا ، هى التحول من مكان يهدر فيه الايمان وتضيع معالمه الى مكان يأمن فيه المرء على دينه .

ولكن حيث استقرت دار الاسلام ، فلا تحول ، وانما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة ، ولا يسلموا فى أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم ..

والآية تحرم قبول الدنية والف الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .. ومما يؤكد هذا المعنى أن القرآن أحصى الطوائف التى تعذر فى هذا التمرد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فان مسيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك .. !!

« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » .

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق ، وهى اثارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على الحاق أى أذى بهم مهما قل .

ان المؤمن لن يكون أبدا ثالث الصنفين اللـذين عناهمـا الشاعر فى قوله :

ولا يقيم على ضـيم يراد به
الا الاذلان ، عير الحى ، والوتد ..
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشـق فلا يرثى له أحد !!

المسلم لا يقبل الحياة على أية صورة وبأى ثمن ، اما أن تكون كما يبغى ، واما رفضها وله عند ربه خير منها وأشرف .. !!

ومن صيحات الكرامة والاباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » !!

وفى حديث آخر « من قتل دون مظلمته فهو شهيد !! » .

هل رأيت استنهاضا للهمم ، واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود عن الدماء والاموال والاعراض ، أحر من هذه المبادىء .. ؟؟

أيمكن فى منطق العقل والانصاف أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر للشعوب .. ؟ ألا شاهت الوجوه !!

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض أن الدين رباط مع الماضى ، وأن التطور ينافيه ..

ونتساءل نحن : ما هذا التطور ؟ ان الالحاد ليس تطورا ! بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الاولى .

من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال فى هذا العصر على ألسنة الشطار من دعاة الالحاد :

« أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين » .

ان التحلل من قيود الدين وفضائله ليس تجديدا ولا ابتكارا ، بل هو خنوع للغرائز الدنيا التى أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون ، وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها ! فأى ارتفاء فى ذلك المسلك الرخيص . ؟؟

يا شباب العرب اقدروا التراث النفيس الذى شرف الله به أمتكم، وأقام عليه تاريخكم ..

ان الدين الذى تنتمون اليه رفع منباركم قديما ، وهو وحده القدير على استنقاذكم من ورطات هذه الايام !!

لا تنخدعوا بمن يزهدكم فى رسالتكم ، فهو يرسم لكم طريق الموت .. !!

ان أمما أخرى لاذت بعقائد أردأ جوهرا وأسوأ منهجا ، واستطاعت أن تغالبكم وأن تنال منكم ، فعودوا سراعا الى دينكم وثقوا أنه وحده العاصم من الغرق .

كم يحزننى أن أرى شبابا عربى النسب أعجمى الفكر واللغة والضمير .. !!

لا يستند الى عقيدة ، ولا يعتز بتاريخ ، ولا يستظل براية ، ولا يسير الى غاية خدعوه فقالوا : الجيل الصاعد .. ولو صدقوه لقالوا : الجيل الضائع الهابط ..

أنظر اليه مليا ، ثم أهمس فى حسرة : انك بهذا الشرود والفراغ تصنع الهزيمة تلو الهزيمة ، وتجر الكارثة بعد الكارثة .. !

متى تعود الى كتاب ربك ، وسنة نبيك .. ؟؟

سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة المرتقبة ، ويحمل العرب مرة أخرى رسالة الاسلام .

محمد الغزالى